

سلسلة كتاب العميد

(١٤)

الإمام علي بن أبي طالب
عليه السلام
وقلت سيف الانتظار

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفلسفة الانتظار.-الطبعة الاولى.-كربلاء،
العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، ١٤٤٤
هـ. = ٢٠٢٢.

٩٦ صفحة ؛ ٢٤ سم. (سلسلة كتاب العميد ؛ ١٤)

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية

1. المهدي المنتظر (شيعة). أ. العنوان.

LCC : BP166.93. I43 2022

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة أثناء النشر

ISBN: 978-9922-680-31-6

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٧٠٨) لسنة ٢٠٢٢



العنوان: الإمام المهدي ﷺ وفلسفة الانتظار

سلسلة كتاب العميد (١٤)

النَّاشِر: العتبة العباسية المقدَّسة - مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات - قسم النشر

الإشراف العام: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: رضوان عبد الهادي السلامي - م.م. ضياء محمد حسن

الإدارة الفنية: م.م. علي رزاق خضير

الإخراج الطباعي: احمد نعمة

تصميم الغلاف: علي طالب

عدد النسخ: ٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسية المقدَّسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدَّسة: ٥٦٠٠١

رقم صندوق البريد (ص.ب): ٢٣٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَلِيَعْفُوا﴾

وَلِيُصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ
لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِیْمٌ ﴿﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة النور، الآية: ٢٢.



كلمة المركز ٩

- ١١ الدلالة القرآنية ل (انتظروا ومنتظرون) في ضوء منهج المدونة المغلقة.
- ١٢ ملخص البحث
- ١٤ التمهيد
- ١٤ منهج البحث القرآني
- ١٦ عملية التفسير عملية لغوية دلالية.
- ١٩ المبحث الأول.
- ١٩ التأصيل اللغوي لدلالة النظر
- ٢٨ المبحث الثاني.
- ٢٨ الانتظار سنة في السابقين واللاحقين.
- ٣٦ المبحث الثالث.
- ٣٦ الانتظار عند الطرفين كلٌّ على شاكلته.
- ٤٠ الانتظار والفتح.
- ٤٢ نتائج البحث.
- ٤٤ الهوامش.
- ٤٧ المصادر والمراجع.
- ٤٩ الحجة بن الحسن عليه السلام وفلسفة الانتظار زمن الحيرة نموذجا.
- ٥٠ ملخص البحث
- ٥٢ المقدمة.

المبحث الاول.....	٥٣
أسباب وقوع الحيرة في الغيبة الصغرى	٥٣
المبحث الثاني.....	٥٦
أحداث الحيرة.....	٥٦
الخاتمة.....	٦٤
الهوامش.....	٦٥
المصادر والمراجع.....	٦٨
مستقبل الأديان السماوية في عصر الظهور دراسة قرآنية.....	٧٠
ملخص البحث.....	٧٢
المقدمة.....	٧٤
المطلب الأول.....	٧٥
ظهور الاسلام على الاديان.....	٧٥
الغلبة بتسلط المسلمين على جميع اهل الاديان والملل.....	٨٠
المطلب الثاني.....	٨٤
مستقبل الاديان السماوية في عصر اظهار الدين.....	٨٤
الخاتمة.....	٩٠
الهوامش.....	٩١
المصادر والمراجع.....	٩٤



كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، أحمدُه حمداً يليقُ بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحببيه، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى حجة الله في أرضه وسائه الإمام المهدي المنتظر ﷺ
أمّا بعد:

اعتمد قسم النشر في مركز العميد الدولي الكثير من المواضيع الفكرية و العلمية التي تستحق التوقف أمامها تفكراً وتأملًا، وهذا أمرٌ ليس بغريب على مجتمع بحوث مجلة العميد العلمية المحكمة وقراءها الكرام..؛ بوصف ان مجلة العميد ومنذُ صدورها مثّلت منبراً علمياً وصرحاً بحثياً استهوى عدداً من الباحثين والدارسين الذين تتوق أفكارهم بين الفينة والأخرى للإطلاع على ما تكتنزه من قيمة علمية ومعرفية في التخصصات الإنسانية عامة.

فقد أُفرد لهذا الاصدار ضمن سلسلة كتاب العميد ، بحوث حول شخصية الإمام المهدي المنتظر ﷺ اکتنز مجموعة من الأبحاث العلمية حول شخصية الإمام المهدي المعصوم ﷺ ودواعي غيبته العظيمة، وفلسفة انتظاره من شيعته ومحبيه.

ويتهزق قسم النشر من خلال سلسلته المباركة، الفرصة لتدعو الزملاء الأفاضل، والباحثين الكرام في التخصصات الإنسانية المختلفة لارسال

بحوثهم، ونتائجهم العلمية لنشرها في كتاب وايضاً لنشرها في مجلة العميد على وعدٍ بأن تكونا عوناً لكل باحثٍ جادٍ مجتهدٍ يرغب في نشر نتاج فكره وحصاد جهده. ومن الله التوفيق ..

الدلالة القرآنية لـ (انتظروا ومنتظرون)

في ضوء منهج المدونة المغلقة

أ.د. حسن عبد الغني الاسدي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

ملخص البحث

الانتظار سنة قرآنية، وحقيقة من حقائقه التي تقترن بحادث مهم يمثل مستقبل الاسلام الحتمي، وهو الفتح الذي إذا جاء يومه ترى الناس يتوجهون أفواجا أفواجا للدخول في الاسلام وتحقيق ظهوره على كل دين، فالناس هي المختارة في ذلك، كما كان الفرقاء قد اختاروا البقاء على شاكلة أعمالهم السابقة، فالانتظار موقف عقائدي، يمثله الطرف الأول. وإرادة الله تعالى مع رسول الله صلى الله عليه وآله. وأنه ترقب لسنة حدثت في الأمم التي خلت من قبل.



---: ABSTRACT :---

Waiting is but a Quran condition and a fact that runs in line with a salient incident representing the future of the inevitable Islam. It is the conquer as people take belief in Islam in battalions and surpasses all religions; people choose to hold such a belief, yet the rivals kept deviating as they did. The waiting is a doctrinal stance on the one hand and it is the will of Him with the messenger on the other; it is the act of waiting for years happened in nations never found before.

التمهيد

منهج البحث القرآني

إننا في سبيل الوصول إلى نتائج يعتدّ بها، وتكون ثمرة لمنهج يُحيي صفة القرآن الكريم ومن أبرز صفاته وهي الصفة الدالة على التعاضد أو التظافر الدلالي الدالة عليها مقولة الآية القرآنية في التدبر ومقولة: «بعضه يشهد على بعض» نعتمد آلية منهجية نقترحها ههنا وهي (المدونة المغلقة) لفهم القرآن الكريم عبر ضبط منهجي بخطوات ومحددات إجرائية تجعل من يسير عليها مفسرا للقرآن بالقرآن حقاً، وبتائج مترتبة على هذه الخطوات، وهي مسألة أرى أنها تطرح لأول مرة ولم أعثر بحسب تتبعي على عمل سبقني صاحبه إلى مثل هذا تنظيراً أو إجراءً؛ لذا فقد سعت منذ عدّة سنوات لتقرير هذا الخطوات وتنفيذها عبر طائفة من البحوث.

المدونة المغلقة

مصطلح نطلقه على المنهج الإجرائي لفهم النصوص المكتوبة. ولا سيما تلك التي تمتلك استقلالاً وتدويناً واضحاً، بأن يُعطى المدوّن أن يتحدث عن نفسه، ويحدد كيفية هذا الإعطاء. وهي مرتكز هذه المنهجية وترفض الأفكار المسبقة التي تنحو إلى فهم محدد للمدوّن باتجاه يتوافق مع ما كان سلفاً، أو نحو ذلك. وهذا الغلق الذي يتخذ ههنا للنظر إلى النصوص المكتوبة يمكن أن نشبهه بتعامل عالم الآثار مع القطع الأثرية من بعض الحضارات القديمة.

فالقرآن الكريم مؤسس لحياة المجتمعات، وهو الرائد التي ينبغي لنا أن نسير بظله، وأن يسبقنا بالقول، ونكون له تابعين ولمعارفه مسلمين؛ لذا كان علينا أن نحترز من أن نقحم عليه أفكارنا وتصوراتنا التي أسسنا لها، أو أسست لنا بفعل تراكمات وتوجهات مختلفة، على مدى عصور متمادة وإنجازات بشرية اكتسبت طابعاً مقدساً حاكماً، تحول دون فهمه الدقيق من ويندرج في هذا السياق ما سمي بعرض الأحاديث على القرآن وقد رويت

في كتب المسلمين وهي أحاديث واضحة في الدلالة على أننا يجب أن نمتلك فهم القرآن لنفهم ما يصدر من رسولنا الكريم وأهل بيته الطاهرين وكذا غيرهم من الأولياء والعلماء، ونعتبره حقاً فيما لو وافق الدلالة القرآنية ونتركه إذا لم يوافق أو لا دليل عليه من القرآن... فمنهج المدونة يوجب أن تكون قراءة المدونة نابعة من المدونة نفسها، لا من خارجها، وإن كان هذا الخارج حديثاً نبوياً أو حديثاً لأهل البيت عليهم السلام أو لأحد من السلف الصالحين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إننا بصدد منهجية للقراءة والتحليل تخصّ نصّاً، أبدعه الكامل المطلق في كماله الذي لا يحتاج إلى غيره المستغني بذاته عن مخلوقاته. ومن المعلوم أننا يجب أن ندرك كيفية إعجاز القرآن من تدبّر القرآن، وليس من إخبار الرسول صلى الله عليه وآله إيانا بذلك.

فالهدف الأول أن نعرف ماذا أراد الله بقرآنه عبر قرآنه نفسه، فتكون نتائج المنهج ممثلة لقراءة داخلية للنصّ تعتمد هيكلته وتدوينه اللفظي بكلماته وآياته وسوره؛ وهوية تلك الكلمات وسماتها التي تكسبها موقعها في الآية. ويعزز هذا حرصنا على إبراز المنحى الذي استثمره القرآن من العربية ليكون له شبكة من الألفاظ لها دلالاتها الخاصة.

كما أنّ القرآن الكريم لم يكن منجزاً تابعاً للحظة التي أنزل فيها أو للحضارة التي كتب بلغتها، فيكون أثراً لتلك الحقبة؛ وننزع إلى تبني بعض ما أحاط بنزول آياته، وولادة مجتمعه بل هو إبداع إلهي محض لكل الأزمان والحضارات، وكانت إرادة الله تعالى ألا يرتبط القرآن بلحظات نزوله بل يتجاوز ذلك ليعيش القرآن في كل مستقبله الآتي إلى أن يأذن الله تعالى بزوال الدنيا.

عملية التفسير عملية لغوية دلالية

نرى أن المشكلة الكبرى التي تواجه المفسر في إطار مهمة البحث لوضع التصور المنهجي لتفسير القرآن الكريم تكمن في عملية التفسير بوصفها عملية لغوية واضحة لسعيها نحو المعنى المراد من الآية، ومن مجموعة الآيات أو السورة؛ إذ القصد منها هو الوصول إلى الدلالات الشرعية أو (القرآنية) التي أراد الله تعالى إبلاغها عباده عبر إنزاله كلاماً لغوياً هو القرآن الكريم على مستوياته المفردة والمركبة. وعلى ذلك فالتفسير علم يدرس الكلام (كلام الله في القرآن) للكشف عن دلالاته؛ وهنا تكمن أهمية أن نصف التفسير بل أن ندرج التفسير بوصفه علماً لغوياً وأكثر تحديداً هو علم الدلالة القرآنية بمستويات الدلالة المتعددة كما تقدّم. إن الصيغة اللغوية التي اتصف بها القرآن الكريم أدت في ظل تصورات طبيعية أو مفتعلة إلى أن يخضع التفسير إلى علم آخر أوسع مساحة وأكثر ألفاظاً وهو علم العربية وههنا كمننت بتقديرنا المشكلة الكبرى؛ لأنّ التفسير خضع بهذا لعلم آخر هو علم العربية وقواعده، وهو علم مثله مثل كثير من العلوم نشأ في ظلّ تصوّرات بشرية، مادة وتحليلاً، وفيه مساحة واسعة لتعدّد وجهات النظر في فهم ظواهر كلام العرب؛ وكما ذهب كبار علمائه أنّه لا ضير من اختلافها، بل تعارضها كما يظهر في بعض مسارات التحليل النحوي.

خطوات التفسير في ضوء منهج المدونة المغلقة

لعل من أبرز الخصائص التي يفترضها منهج المدونة المغلقة في تفسير القرآن الكريم:

1. واحدية الدلالة القرآنية لا تعددها: أي للفظ عينها أينما أستعملت في القرآن الكريم، ونعني بها أنّ اللفظة القرآنية أو ما يسلك مسلكها من بعض التراكيب تحمل دلالة واحدة وبذا فنحن ننفي التشارك الدلالي بين لفظة وأخرى. (نفي الترادف، ونفي المشترك اللفظي ونفي التضاد).

2. الوقوف على المعنى اللغوي الأولي ووصفه بأنه المعنى الأولي في قبالة التعدد في المعاني اللغوية التي يسردها المعجميون، ولعل ما قدّمه ابن فارس في معجمه المقاييس سيكون

نافعا في هذه الجهة .

٣. السياق اللفظي سياق المدونة: إن واحدية الدلالة التي أفادتنا بها الآية التي صدر بها البحث؛ تنحو بنا إلى خاصية منهجية أخرى للقرآن الكريم تكمن في أن دلالة ألفاظه تتأتى في ظل النظر إلى سياقها (سياقاتها) اللفظي. وههنا مسألة مهمة فما دام النظر يتم إلى المدون فالسياق الوحيد المعتمد في هذا المنهج هو السياق اللفظي (اللغوي)؛ لأنه السياق الذي تكونه المدونة، وهو هيأتها اللفظية وسلسلة تتابع مكوناتها، وتعالقها بعضها ببعض. ويتجلى السياق ههنا عبر كل الموارد التي استعملت فيها اللفظة في القرآن الكريم. وأضيف إلى ذلك أن السياق القرآني سياق متسع يشمل ما نصلح عليه بـ (سياق المدونة)، فيشمل كل موارد استعمال اللفظة أو التركيب، بل يفيد من سياقات الألفاظ التي تظهر مع تلك اللفظة أي مصاحباتها، على نحو يشبه المسارات الشبكية التي تنسجم، وما يتيح الاستعمال القرآني لإظهار تلك الشبكة الدلالية. ولا سيما أننا في ظل بعض من التصورات النحوية لكيفية تكوين الجمل وامتدادها في العربية وجدنا أن هناك لفظة مركزية في الآية تسلك مسلك المولد لهذا السياق ببعديه التكويني، والدلالي لا العكس الذي تعارف عليه السياقيون (أي: دلالة اللفظة وليدة سياقها).

٤. تتجلى مركزية اللفظة نحويًا بقدرتها على استدعاء ما يناسبها لبناء جملتها عبر تكوين المجالات النحوية لتشغلها الألفاظ المناسبة للتعبير عن الوظائف النحوية المختلفة على نحو يجعل المسند متحكماً بالألفاظ التي تظهر في إثره^(١).

فاللفظة القرآنية تمثل بؤرة دلالية تتجمع حولها طائفة من الألفاظ التي تنسجم معها دلاليًا. ويعني ذلك أن في الآيات ألفاظاً تسلك في مواضعها مسلكاً تكون به لفظة رئيسة، لها القدرة على استدعاء الألفاظ الأخرى مما تتسق معها دلاليًا، وبهذا تكون تركيبه وتستدعي ألفاظه المناسبة. وهو ما يقود إلى عكس النظرية السياقية في فهم دلالة اللفظة فاللفظة هي التي تحدد بقية الألفاظ التي تشارك معها في ضوء انسجامها دلاليًا معها، على

حين أن النظرة السياقية ترى أن اللفظة ليس لها معنى إلا عبر الألفاظ التي تظهر في سياقها. ٥. اللفظة القرآنية فهو اصطلاح نطلقه على اللفظة المستعملة، سواء أدخلتها لواحق أو سوابق أم لم تدخلها، وهي تقترن بالهيئة الصيغة الصرفية التي استعملها القرآن. ولا تحمل دلالتها على ما اشترك معها اشتقاقيا من بقية الألفاظ فلكل صيغة لها خصوصيتها الدلالية في القرآن الكريم. إلا أن تدلّ النتائج على تشارك في هذه الدلالة على نحو ما من التشارك أو التعاضد. وفي بعض المسارات أثرنا استعمال اصطلاحات جديدة من نحو (المفرد اللفظي والمفرد الصرفي وكذا في الجمع).

٦. اهتمام المنهج بذكر الاقترانات اللفظية التي تصاحب اللفظة القرآنية، وهي التي تمثل (السياق اللفظي أو اللغوي) الذي تعمل اللفظة على استدعائه، وذلك لما لتلك الاقترانات اللفظية (المصاحبات) من أثر في تحديد دلالة اللفظة. الاقترانات اللفظية متعددة فقد تكون ألفاظا أو تركيبا معينا أو بنية صرفية أو أداة رابطة.

٧. يرفض هذا المنهج التعويل أو الإفادة من روايات أسباب النزول، لأنها من خارج المدونة لا من داخلها.

٨. إن تقسيم الآيات القرآنية على مكية ومدنية غير معتد في منهج المدونة لأنه تقسيم خارجي مقترن بسبب النزول. وفائدة هذا التقسيم قد تظهر في أثناء تطبيق غلق المدونة فيما يمكن أن تزودنا الآيات نفسها من مظاهر بيئاتها.

المبحث الأول

التأصيل اللغوي لدلالة النظر

جاء في العين في مادة نظر قوله: «نظر إليه ينظر نظراً، ويجوز التخفيف في المصدر تحمله على لفظ العامة في المصادر (يعني اسكان الوسط أي نظر)، وتقول: نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب»^(٢).

وذكر ما خرج عن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، أي لا يرحمهم. وقال: «وقد تقول العرب: نظرت لك، أي عطفت عليك بما عندي، وقال الله عز وجل: ﴿لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: لا ينظر لهم فيكون بمعنى التعطف ... ومنظرة الرجل: مرآته إذا نظرت إليه أعجبك أو ساءك»^(٣).

فالمعنى على النظر باقية الا أنها تلبس بدلالة تداولية بالنظر الى موضع استعمالها؛ فعدم النظر الى شيء هو قلة عناية بشأته «وان فلانا لفي منظر، ومسمع أي فيما أحب النظر إليه والاستماع، قال: لقد كنت عن هذا المقام بمنظر. أي بمعزل فيما أحببت ... والمنظر: الشيء الذي يعجب الناظر إذا نظر إليه فسر»^(٤).

ثم عرج الى النظر المقترن بمعنى الريب وبالشدّة، وان فلانا لشديد الناظر إذا كان بريئاً من التهمة، ودخل على معنى ان يصاب بنظرة من الجن ونظار كقولك انتظر، اسم وضع في موضع الامر. وناظر العين: النقطة السوداء الخالصة في جوف سواد العين^(٥).

وقال الخليل: «ونظير الشيء مثله... وفي التأنيث نظيرة، وجمعه نظائر... ويقول القائل للمؤمل يرحوه: انما انظر إلى الله ثم اليك، أي أتوقع فضل الله ثم فضلك»^(٦).

وذلك بما يرافق تلك النظرة من توقع رحمة أو منفعة عاجلة، يعلم أولها بالنظر. ومن استعمال المادة (نظر) بمعنى الانتظار أي المهلة، قال الخليل: «ونظرت فلانا وانتظرت به بمعنى، فإذا قلت: انتظرت فلم يجاوزك فعله فمعناه وقفت وتمهلت ونحو ذلك. وتقول: انظري يا فلان، أي استمع الي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾. ويقول

المتكلم لمن يعجله: انظرنى ابتلع ريقى. وبعث فلان شيئاً فأنظرته، أي أنشأته، والاسم منه النظرة. واشتريته بنظرة اي بانتظار، وقوله عز وجل ﴿فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، أي إنظار. واستنظر المشتري فلانا: سأله النظرة. والتنظر: توقع من ينتظره. وبفلان نظرة، أي سوء هيئة. والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتياه؟^(٧).

ولم يعرج الخليل على مفارقة هذه المعاني لمعان أخرى تدل عليها مواد لغوية قريبة من حقل نظر الدلالي، فلم يتوقف عند رأى ولا عاين أو شاهد وبصر ونحوها، ولم يبين ميزة النظر ودلالته الخاصة المميزة.

ويبدو أن ابن فارس في ظل نظراته المعجمية التي اختلفت عن نظرة الخليل قد قدّم لنا شيئاً مما تماز به هذه المادة عن غيرها، فقال: «نظر: النون والطاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد وهو تأمل الشيء ومعانيته، ثم يُستعار ويُتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظر إليه، إذا عاينته. وحَيٌّ حِلَالٌ نَظَرٌ: متجاورون ينظر بعضهم إلى بعض. ويقولون: نَظَرْتُهُ، أي انتظرته. وهو ذلك القياس، كأنه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه. قال: فَإِنَّكُمَا إِن تَنْظُرَانِي لِيَلِيَنَّكَ مِنَ الدَّهْرِ يَنْفَعُنِي لَدَىٰ أُمِّ جُنْدَبٍ»^(٨)

فيتضح أن المميز الدلالي في هذه الرؤية كونها (تأمل الشيء ومعانيته) مما يستلزم النظر المادي أي ابصار الشيء بهادته أو هيأته، مع الاحاطة به وعدم التعجل إذ التأمل لا يقوم في نظرة عجلية أو خاطفة. ولهذا يبدو أن المادة قد استقرت على استعمال حاسة العين، وهي النظر، قال ابن منظور: «النَّظَرُ حَسُّ العَيْنِ نَظَرَهُ يُنْظِرُهُ نَظْرًا وَمَنْظَرًا وَمَنْظَرَةً وَنَظَرَ إِلَيْهِ وَالْمَنْظَرُ مَصْدَرُ نَظَرٍ... الجوهرى النَّظَرُ تَأْمَلُ الشَّيْءَ بِالْعَيْنِ... وفي حديثِ عمران بن حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ عَلِيٍّ عِبَادَةٌ))، قال ابن الأثير: قيل معناه أَنْ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا بَرَزَ قَالَ النَّاسُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَشْرَفَ هَذَا الْفَتَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَعْلَمَ هَذَا الْفَتَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَكْرَمَ هَذَا الْفَتَى أَي مَا أَتَقَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا أَشْجَعَ هَذَا الْفَتَى، فكانت رؤيته ﷺ تحملهم على كلمة التوحيد. والنَّظَرَةُ القَوْمُ يَنْظُرُونَ إِلَى الشَّيْءِ، وقوله

عز وجل ﴿وَأَعْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ والعرب تقول داري تنظر إلى دار فلان ودورنا تناظر أي تقابل^(٩). وقال: «وقال الفراء تقول العرب أنظرنني أي أنتظرنني قليلاً، وقوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾، قال أبو منصور: ومن قال إن معنى قوله إلى ربها ناظرة يعني منتظرة فقد أخطأ لأن العرب لا تقول نظرت إلى الشيء بمعنى انتظرته إنما تقول نظرت فلاناً أي انتظرته... وإذا قلت نظرت إليه لم يكن إلا بالعين وإذا قلت نظرت في الأمر احتمل أن يكون تفكراً فيه وتدبراً بالقلب»^(١٠).

«والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر... والمنظر: الشيء الذي يعجب الناظر إذا نظر إليه ويُسره»^(١١). وقال ابن منظور: «والنظر: الفكر في الشيء تُقدِّره وتقيسه منك، والنظرة اللمحة بالعجلة، ومنه الحديث أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام: لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة، والنظرة الهيئة».

وقالوا: «انظرنني أي اصغ إلي ومنه قوله عز وجل ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ والنظرة الرحمة وقوله تعالى ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي لا يَرِحُّهُمْ، وفي الحديث: ((إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم)).

والنظر يقع على الأجسام والمعاني فما كان بالأبصار فهو للأجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني»^(١٢).

«ونظر الرجل ينظره وانتظره وتنظره تأتي... والتنظر توقع الشيء... ويقال بعث فلاناً فانظرته أي أمهلتها والاسم منه النظرة...»^(١٣). «وانظره آخره وفي التنزيل العزيز ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، والتناظر التراؤض في الأمر، ونظيرك الذي يراؤضك وتناظره وناظره من المناظرة والنظير المثل»^(١٤). «والنظائر جمع نظيرة وهي المثل والشبه في الأشكال الأخلاق والأفعال والأقوال ويقال لا تناظر بكتاب الله ولا بكلام رسول الله وفي رواية ولا بسنة رسول الله قال أبو عبيد أراد لا تجعل شيئاً نظيراً لكتاب ولا لكلام رسول الله فتدعها وتأخذ به»^(١٥).

وذكر الأصهباني في تناوله هذه المادة أنّ هناك عدة معانٍ ترد فيها هذه المادة في القرآن الكريم فقال: «النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية»^(١٦). واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته، قال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية ٧١]، نظرت في كذا: تأملته. قال تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات ٨٨-٨٩]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف ١٨٥] فذلك حيث على تأمل حكمته في خلقها»^(١٧).

وقال: «والنظر: الانتظار، يقال: نظرت وانتظرته وأنظرته، أي: أخرته، قال تعالى: ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود ١٢٢]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس ١٠٢]، وقال: ﴿انظُرْنَا نَنْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد، ٣١] ﴿وَمَا كُنَّا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر، ٨] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف ١٥-١٦]، وقال: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ [هود ٥٥]، وقال: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة ٢٩]، وقال: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان ٢٩]، فنفي الإنظار عنهم إشارة إلى ما نبه عليه بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف ٣٤]، وقال: ﴿إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاطِرِينَ إِنَاهُ﴾ [الأحزاب ٥٣] أي: منتظرين، وقال: ﴿فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل، ٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة ٢١٠]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف ٦٦] وقال: ﴿مَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [ص، ١٥] وأما قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف ١٤٣]، فشرحه وبحث حقائقه يختص بغير هذا الكتاب»^(١٨).

«ويستعمل النظر في التحير في الأمور، نحو قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة ٥٥]، وقال: ﴿وَتَرَاهُمْ يُنظرون إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف ١٩٨]، وقال: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي﴾ [الشورى ٥٤] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس ٤٣]، فكل ذلك نظر عن تحير دال على قلة الغناء .

وقوله: ﴿وَاعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة ٥٠]، قيل: مشاهدون، وقيل: تعتبرون»^(١٩).

«والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته، والنظر: البحث، وهو أعم من القياس؛ لأن كل قياس نظر، وليس كل نظر قياساً»^(٢٠). وذكر الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز: «بصيرة في نظر، النَّظْرُ: تأمل الشيء بالعين، وكذلك النَّظْرَانُ بالتحريك، وقد نَظَرْتُ إلى الشيء. والنظر أيضاً: تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يُراد به التأمل والفحص، وقد يُراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وقد يُراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص. وقوله تعالى: ﴿انظروا ماذا في السماوات﴾ أي تأملوا. واستعمال النَّظْر في البصر أكثر استعمالاً عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة، ويقال: نَظَرْتُ إلى كذا: إذا مددت طرفك إليه رأيتَه أو لم تره، ونظرت إليه: إذا رأيتَه وتدبرته، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ﴾. ونظرت في كذا: تأملته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يراد به الحث على تأمل حكمته في خلقها».

ونظر الله إلى عباده هو إحسانه إليهم، وإفاضة نعمه عليهم. قال تعالى: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. وفي الصحيحين: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مُستكبر»^(٢١). وقال: «والنَّظْرُ أيضاً: الانتظار قال تعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾، ﴿وَانظُرُوا إِنَّا مُنتظرون﴾، ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ فنفي الإِنظار عنهم إشارة إلى ما

نَبَّهَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾. وقوله: ﴿غَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَّا﴾ أي غير منتظرين، ويُستعمل النظر أيضاً في التَّحْيِيرِ في الأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاكُمْ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ حَفِيٍّ﴾، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ كل ذلك نظرٌ عن تحيُّرٍ دالٍّ على قِلَّةِ العَنَاءِ. وقوله: ﴿وَأَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، قيل: تُشَاهِدُونَ، وقيل: تَعْتَبِرُونَ»^(٢٢).

وخلص في التحقيق في كلمات القرآن الى القول: «والتحقيق ان الأصل الواحد في المادة هورؤية في تعمق وتحقيق في موضوع مادي أو معنوي، بصر أو ببصيرة ١٨٥، وسبق في رأى: أن النظر طلب الهدى والظهور، كما في الفروق، فالنظر في المادي المحسوس، كما في ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ و ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ﴾، ويراد التوجه بالبصر والتعمق والتدبر ١٨٧، أما الانتظار فهو بمعنى اختيار النظر وانتخابه، وأما مفهوم الترقب فهو من لوازم اختيار معنى النظر، كما في ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ﴾، ﴿فَأَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ ٢٠ / ١٠. ففي كلمة الانتظار يلاحظ النظر واختياره، وإذا اختار الانسان برنامج النظر وكان في ذلك الأمر عاملاً فهو مرتقب، فالأصل محفوظ في مشتقات المادة»^(٢٣).

مادة نظر ومشتقاتها في القرآن الكريم

وقد عمل بعض الباحثين على احصاء استعمال هذه المادة وصيغها في القرآن الكريم فبلغ ما جاء من هذه المادة مع اختلاف الصيغ فكان مجموعها (١٢٩) كلمة من هذا الجذر وبإخراج المتشابهات فيبلغ عددها ٧٤ لفظة؛ وهي: «أَنْظُرَ (١) أَنْظِرُنِي (١) النَّاطِرِينَ (١) الْمُتَنْظِرِينَ (٣) الْمُتَنْظِرِينَ (٣) أَنْظِرُوا (١) أَنْظِرُونَا (١) أَنْظِرْنَا (١) تَنْظُرُونَ (٤) تُنظِرُونَ (٣) سَنَنْظُرُ (١) فَأَنْظِرُنِي (٢) فَانْتِظِرُوا (٣) فَانظُرُوا (٥) فَانظُرِي (١) فَلْيَنْظُرْ (٢) فَلْيَنْظُرْ (٢) فَنَاطِرَةٌ (١) فَنَظَرَ (١) فَيَنْظُرَ (١) فَيَنْظُرُوا (٦) لِلنَّاطِرِينَ (٣) لِنَنْظُرَ (١) مُتَنْظِرُونَ (٣) مُنظِرُونَ (١) مُنظِرِينَ (٢) نَاطِرَةٌ (١) نَاطِرِينَ (١) نَظَرَ (٣) نَظَرًا (١) وَانْتِظِرْ (١) وَانْتِظِرُوا (١) وَانظُرْ (٣) وَانظُرُوا (١) وَانظُرْنَا (١) وَلِنَنْظُرْ (١) يَنْتِظِرْ (١) يَنْتِظِرُونَ (١) يَنْظُرُوا (٤) يَنْظُرُونَ (٢) يَنْظُرُونَ (١٩) يَنْظُرُونَ (٦)»^(٢٤)

انتظر ومنتظرون

أما الفعل ينتظر فقد استعمل في ثماني موارد والأمر منه (انتظر) استعمل ستة مرات منها خمسة للجمع المخاطب بإسنادها الى واو الجماعة (انتظروا) وواحدة للمفرد (انتظر) بإسناد الى المخاطب المفرد. وعدد ستة^(٢٥)، هو نفسه عدد مرات استعمال الاسم من هذا الفعل أي (مُتَنْظِرُونَ)؛ وهو صيغة اسم الفاعل من الفعل انتظر.

حصر الآيات:

إن الموارد^(٢٦) التي جاء فيها استعمال هاتين اللفظتين وهما في تركيب واحد هي ما يأتي متتابعة بحسب ورود السور وأرقام الآيات:

١. سورة الأنعام (سورة ٦) آية ١٥٨.

٢. سورة الأعراف (سورة ٧) آية ٧١.

٣. سورة يونس (سورة ١٠) آية ٢٠.

٤. سورة يونس (سورة ١٠) آية ١٠٢.

٥. سورة هود (سورة ١١) آية ٢٢١ قرب نهاية السورة.

٦. سورة السجدة (سورة ٢٣) آية ٣٠ نهاية السورة.

والآيات هي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَضَرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام ١٥٨]. ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [الأعراف ١٧]. ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس ٢٠]. ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس ١٠٢]. ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [هود ١٢٢]. ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْتَظِرُونَ﴾ [السجدة ٢٩ - ٣٠]. ومن الآيات التي ذكر فيها فعل الانتظار قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب ٢٢-٢٣].

وهي تنص على أنّ طائفة من المؤمنين سيقون على عهدهم مع الله تعالى صادقين ولا يبدّلون هذا العهد بغيره. ويبدو أن الآية قد لا تتعلق بما سبقها في الآية (٢٢) إلا أن ربط الآيتين قد يتجلى في تكرار لفظة المؤمنين بينهما. إلا أن محل الفائدة أن دلالة الإنتظار تنحو أن تكون من الأفعال التي تبرز العلاقة العظيم مع الله تعالى بالبقاء على العهد انتظارا لتلك اللحظة التي يقضي من بقى نجه لمعاهدته الله على ذلك. وههنا لا يمكن أن نفهم أن الانتظار هو ذلك الفعل السلبي الذي يبقى فيه الانسان عاطلا عن أعماله ووظائفه في الحياة. ونعمل فيما يأتي على توزيع هذه الموارد القرآنيّة أن منها ما كان متعلقا بالأمم السابقة ومنها ما تعلق بهذه الأمة المحمدية .

المبحث الثاني

الانتظار سنة في السابقين واللاحقين

اقتصر ذكر انتظروا ههنا على قوم عاد، فإن هوداً ﷺ لما رأى إعراض قومه ووصفهم إياه بالسفاهة، وتماديهم في الاعراض عن الله تعالى وتقديس ما كان يعبدوا بأبائهم الذي لم تكن إلا أسماء هم سموها وأبائهم من قبل، فما كان من هود ﷺ إلا أن قال لهم: فانظروا إني معكم من المنتظرين. في إشارة إلى أن رجسا وغضب من الله سيأتيهم وبه سيكون القضاء على عاد، ونجاة هود والمؤمنين*.

قال تعالى: ﴿وَالِىَ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أبلغكم رسالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ * أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لئنذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون * قالوا أجبتنا لنعبد الله وحده ونذرنا ما كان يعبد آباؤنا فأتينا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلوني في أسماء سميتموها أنتم وأبائكم ما نزل الله بها من سلطان فانظروا إني معكم من المنتظرين * فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ [الأعراف ٢٧-٥٦].

الانتظار ههنا قد تحقق عندما جاء عاد ما وعدت، بعد رفضها التوحيد، وكانوا ينطلقون من معاندة وجدال، ونفي الإيذان أن تكذيبهم قاطع ﴿كذبوا بآياتنا﴾ لا يدخله شيء يؤدي إلى اعدارهم من التباس ونحوه من نية أو غيرها. قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

[هود ٥٩]. وفيهم ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء ١٣٥].

وقال تعالى:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدِيَقَهُمْ عَذَابَ الْخُزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَحْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت ١٥-١٦].

فكان الانتظار من الطرفين ﴿فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لكن صفة المنتظرين تعلقت بنبي الله تعالى (هود عليه السلام) وقوله أنه معهم من المنتظرين لا يعني أنهم كانوا ينتظروا ما وعدهم نبي بتكذيبهم إياه، لأنهم ببساطة لا يصدقونه في تهديده لهم ولو صدقوه فكان الأولى به أن يصدقوه في دعوته، بل قول النبي هود عليه السلام بيان لحاله معهم في المدة الباقية فهو منتظر لأمر الله، ولم يعد هناك فائدة من انذاره وتبليغه لهم. وفي الآية دلالة على وجود منتظرين معروفين هو منهم لدخول (أل) عليها (أي: المنتظرين)، التي أقرب فيها أن تكون عهدية لا جنسية، إذ فعل الانتظار حادث جديد بسبب طارئ وليس هو من مستقر الحال. وقد كان عقب هذا الحال أن نجى الله تعالى عباده ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾.

على ما تقدم يمكن القول أن نوجز دلالة هذا التركيب وما يحف به من قرائن على

النحو الآتي:

١. دلالة الأمر في انتظروا، لم تكون حقيقة في طلب ايقاع الفعل ممن يدل ضمير الجماعة عليه وهم عاد المسكتبرون، الطاغون، بل دلالته على انتظار يقع عفوا منهم، لأنه قد حسم أمرهم.

٢. في قبالة الأمر هناك من يقع منه الانتظار فاتسم به (المنتظرون) وهم هود ومن آمن به.

٣. الانتظار كان لرجس من الله وغضب على عاد، وقد فرغ من اقراره لقوله:
(وقع عليكم...) بالفعل الماضي.

٤. رفضهم للتوحيد واستكبارهم والبقاء على عبادتهم ما أطلقوا عليه هم وأباؤهم تسميته. بمعنى أن الإنكار كان لأمر عظيم استحقوا به العذاب.

من هنا يمكن أن نفهم أن هذا التصور للانتظار في الأمم السابقة سيكون عينه في أمة خاتم النبيين ﷺ، لما تقدّم من استدلالنا في بعض البحوث في هذا المجال^(٢٧)

من تقرير القرآن الكريم لمثل هذا الأمر لقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر ٤٢-٤٤].
﴿وإن كادوا لَيَسْتَفْزَنوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلافِكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء ٧٦-٧٧].
﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب ٦٢].

الآيات المتعلقة بالانتظار في الأمة المحمدية

ظهر مما سبق أن الأمر انتظروا متوجه نحو منكري التوحيد من عاد، وأن الانتظار كان متعلقا بالعذاب الذي استأصل هؤلاء ونجاة هود عليه السلام ومن معه. هذا في الماضي أما في هذه الأمة المحمدية فهي بقية المواضع وأولها ما ورد في سورة الأنعام المباركة قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا

لَوْ أَنَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةٌ
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا
سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ
أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ
مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨-١٥٥﴾.

بعد ذكر إتيان موسى ﷺ الكتاب وفيه تفصيل لكل شيء، وقد أنزل على هذه
الأمّة كتاب مبارك؛ فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عن آياتنا ثم الآية
(١٥٨) من الانعام تأتيهم ﴿الملائكة أَوْ رَبُّكَ أَوْ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ فمجيئها لصالح
من آمن قبل مجيئها.

بدءاً فإن سياق الآيات دالٌّ على تعلقه بهذه الأمّة، وهنا مجموعة من الألفاظ ينبغي
لنا الوقوف عندها ليتضح الدلالة المعنوية في ﴿انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾. فآيات الله
الواردة ههنا هي الآيات التي تتلى، أي الآيات المقروءة أو المسموعة، وليست آيات
معينة، بل هي أشخاص أو مخلوقات أخرى أو حوادث متعلقة بالله تعالى دالة على
بعض إرادته. وتتعضد دلالة آيات الله بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ
بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة ٢٥٢]، وقوله أيضاً: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران ١١٣].

ومواضع أخرى، يمكن ان تفيدنا أنها آيات محددة لا مطلق الآيات التي تتلى نذكر
منها موردا واحداً^(٢٨)؛ نكتفي منها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ
عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿[آل عمران ١٠٢-١٠٨]. فقولته تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾، باستعمال اسم الإشارة تلك دال على ما تقدمها من آيات ابتداء من النداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وهي آيات دعت الذين آمنوا إلى التقوى بأعلى درجاتها وذكر نعم الله، وأن يكون منهم أمة يدعون إلى الخير والدعوة إلى نبذ الاختلاف بل الاعتصام بحبل الله. وفي مورد آخر أن التكذيب بهذه الآيات سيكون السوأى فقال تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوْأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الروم ١٠]. ويقترب يصدفون بمثل ما تقدم في موضع آخر من نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام ٤٧-٤٦].

ودلالته واضحة على شدة المعاندة والتمنع عن قبول الحق وقريب منه قول الأصبهاني: «صدف عنه: أعرض إعراضاً شديداً يجري مجرى الصدف، أي: الميل في أرجل البعير، أو في الصلابة كصدف الجبل أي: جانبه، أو الصدف الذي يخرج من البحر»^(٢٩). والمعنى القرآني الأقرب بحسب منهجنا المعتمد على المدونة المغلقة أي نظير فهم القرآن بالقرآن نفسه هو الصلابة من صدف الجبل، وهو ما يفاد من قوله

تعالى في ذكر الصدفين ❁ أتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال أتوني أفرغ عليه قطرا ❁ [الكهف ٦٩]. وقوله الصدفين ، يقتضي أن يشتمل على ارتفاع، وصلابة ليتحمل النار وحرارتها، فيصدفون دال على التكبر، وصلابة في التحجر بعدم الخضوع لإرادة الله تعالى .

آيات ربك

وهي في قوله: ❁ أو يأتي بعض آيات ربك ❁، آيات ربنا ههنا هي آيات واقعة كحادثة وهي تحول العصا الى حية فتلقفت جبال السحرة وعصيتهم. كما يستدل عليه من الآيات الآتية: ❁ وما تنقم منا إلا أن آمننا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ❁ [الأعراف ١٢٦]، ❁ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين ❁ [يس ٤٦]. ❁ كذاب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ❁ [الأنفال ٥٤] فقد كذب آل فرعون على نحو واضح بالآيات الحادثة الواقعة وهي (تسع آيات) .

وإنكار هذه الآيات يوجب أن يكون المنكر في درجة عليا من الظلم والخسران ،لقوله تعالى: ❁ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يدها إننا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ❁ وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤثلا ❁ [الكهف ٥٧-٥٨]. ولهذا اقتضى أن يكون لهم موعد للعذاب. وقال تعالى: ❁ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ❁ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ❁ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ❁ [الكهف ١٠٥-١٠٣]، فالأكثر خسارة هؤلاء الذين كفروا بهذه الآيات وكذا يحدد لهم موعد (أجل مسمى)

مع شدة عذاب الآخرة، بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه ١٢٧]، ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى * وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ [طه ١٢٨-١٢٩].

مما تقدم يتضح أن آيات ربك هي الآيات الواقعة (عبارة عن حدث) وليس المقصود بها الآيات التي تتلى أو الآيات المكتوبة.. ما يعني أنها بوجودها العياني دالة على الله تعالى فكانت الإضافة إلى (رب) مع مراعاة أن هدفها إصلاح المعنيين لما في لفظة الرب من منحى تربوي؛ فكان انكار الصريح الواضح سببا لتعجيل العذاب أو استحقاقه بموعد، وهم الأخسرين أعمالا. من هنا سيكون مجيء بعض آيات ربك تعني أمرا عيانا سيحل وهو مما ينتظر، ويوم تأتي لا ينفع الا ما سبق من إيمان، والإيمان بهذه الآية عند مجيئها لن يكون نافعا. الأمر الذي يرجح أن هذه الآية لن تأتي لإقامة الحجة على المعاندين بل تأتي للمحاسبة، فيوم هذه الآية أشبه بيوم الحساب.

إذن فالانتظار ههنا سيكون متعلقا بحلول هذه الآية، مع ملاحظة أن الاستعمال القرآني للفعل (تَأْتِيهِمْ) الذي بلغ (٧١) ومثلها ل (يَأْتِيهِمْ) تحيل كلها الى حادث في المستقبل، ومن أوضح الموارد تلك أنه اقترن ذكر هذا الفعل مع الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف ١٨٧]، ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف ١٠٧]. ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذُكِرَاهُمْ﴾ [محمد ١٨]، ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ [الحج ٥٥].

وكنا فيما مضى قد أفردنا بحثا خاصا للدلالة هذه اللفظة وقد توصلنا فيها أن الساعة هي: علم دال على عاقل يكون على يديه الحساب والمجازاة على الأرض ، مع اقتران أمر وعلمها بالله حصرا وتحقق ذلك في الدنيا لا بد منه لأنها وعد إلهي للناس^(٣٠). وعلى هذا فإن الفعل في (يأتيهم بعض آيات ربك) يتوافق زمنيا مع الساعة ومع العذاب ومع الموعد وتحقق الوعد، وقد قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء ٤٠]، فتأتيهم سواء أحوال الضمير فيها الى النار أو الى الساعة عبر دلالة السياق العام الذي سميناه سياق المدونة، ولا سيما مع ظهور (بغته) التي اقترنت مع الساعة في أكثر من مورد قرآني. وكل هذا يعني أن بعض آيات ربك تقرب من دلالة الساعة على الشخص المرتبط بالله تعالى في مستقبل هذه الأمة. وكل منتظر أمره والانتظار كم يفهم سياقيا انتظار ديني أو عقيدي ولهذا فمن ينكر ينتظر بحسب عقيدته ان يفوز والقائل ينتظر بحسب عقيدته لتحقيق الوعد. وليس حدثا يمارس.

المبحث الثالث

الانتظار عند الطرفين كل على شاكلته

﴿لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾

المورد الثاني: من موارد الانتظار في هذه الأمة قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيهَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس ١٩- ٢٠]. وواضح هذا الطلب من هؤلاء بأنزال آية يتحقق في المستقبل لما تقدم من الآية الآنفه الذكر ومن نظائر هذه الآية قوله تعالى في الأنعام:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام ٧٣]. ويبدو أن هذه الآية مطلب أكابر المجرمين: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا مَجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام ١٢٣-١٢٤].

ولفظه (آية) استعملت في القرآن الكريم بدلالة على حوادث مقترنة بالله تعالى كعدم تكليم زكريا الناس ثلاثة أيام الرمزا أو أشخاص مقربين منه كعيسى وأمه ﷺ، أو أمور معاينة من نحو المائدة التي أنزلت من السماء للحواريين، ونحو ذلك كما يتضح من موارد استعمال هذه اللفظة في القرآن الكريم التي تبلغ (٩٧) مورداً. ﴿مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾

المورد الثالث: قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنْجِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ١٠٢-١٠٣].

الانتظار يخص هذه الأمة، ينتظرون مثلها كان ينتظر من خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ، وهم أهل الأمم التي لم تمثل لأنبيائها بل عتت وتجبرت، وجاء ذكر أخبارهم. فالأمر محسوم في أن

الانتظار هو انتظار لحدوث ما حدث فيمن سبق، فما سيقع غير بعيد عما وقع عند من سبقهم والقرب الى أن المقصود بهم هم قوم عاد وثمود لقربهم زمنا ومكانا وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [فصلت ١٣-١٤]. والآية فيها إشارة إلى رسل قد بعثهم الله الى عاد وثمود.

أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ الواردة في الآية موضع لبحث فهي تشير إلى أنّ هناك جماعة يرسلهم الله تعالى إلى هؤلاء ويظهر أن المقصود من لفظة (ورسلنا) هم الملائكة. إذ يظهر أن هناك طائفة من الملائكة تتكفل بالمشاركة في الدعوة الى الله تعالى أو المشاركة في ايقاع العذاب وإحداث البلاء مما وعد به العتاة المجرمون، وتتضح الدلالة القرآنية للفظه (رسلنا) بكونها تعني الملائكة الموكلون بأمر معين، على ما في الآيتين: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام ٦١]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ النَّصِيبُ مِمَّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأعراف ٧٣]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال ٥٠]، وهم الكتبة، ممن يكتب مواقف الناس، للمكر بأخرين: ﴿وَإِذَا أَدْقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس ٢١]، وهم من بعث الله تعالى لانزال العذاب على الأقوام التي عنت وعصت أنبياءها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبَتْ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود ٩٦]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت ٣١]. ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِءًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود ٧٧]، ﴿سُنَّةَ

مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لُسْتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ [الإسراء ٧٧]، ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿المؤمنون ٤٤﴾ [٣١].

وقد توحى بعض الآيات أن دلالة رسلنا تعم الرسل من البشر الذي كلفهم الله تعالى هداية الأقسام، كما يظهر في آيات عدة من نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر ٧٠]، ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف ٤٥]، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد ٥٢]، وعلى ذلك فإن الدلالة القرآنية المتحصلة للفظ (رسلنا) هي للجهات المكلفة بأمر محدد سواء أكانوا بشر أم كانوا ملائكة.

ويمكن أن تخصص بجماعة محددة من الملائكة وذلك باصطفائهم فهم ليسوا كسائر الملائكة! لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج ٥٧]. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِ أَجْنَحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر ١]. إذن فرسلنا تعم من اصطفاهم الله تعالى من خلقه بشرا وملائكة. وقد جاء في المورد الرابع من موارد بحثنا ذكر الرسل.

﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾

المورد الرابع: قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْبِثُ بِهِ فُوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِعَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود ١٢٠-١٢٣]. يتعاوض هذا المورد مع ما مضى فيما يتعلق بالانتظار ولكنه كان أكثر تركيزا في ذكر الماضيين فبعد ذكر القرون

السابقة وهلاك أهل القرى بسبب ظلمهم، فلا يمكن أن يهلكوا وهم صالحون، ولو شاء الله تعالى أن يحول المتفرقين الى أمة واحدة، لفعل؛ ولكن أمرهم اليهم ههنا فاختاروا الاختلاف، والله يريد لهم الرحمة (الرحمة بوحدهم) وهي هدف الخلق لا اختلافهم، أي للرحمة خلقهم.

ويأتي الله تعالى على ذكر هذا النفي المطلق، لأنه لم يتعلق بنفي الايمان بشيء محدد، كأن يقول لا يؤمنون بالله أو باليوم الآخر أو نحو ذلك، والاستعمال بهذا الحال يراد به مطلق الايمان. ويعني ذلك أنهم لا يؤمنون بشيء. ويمكن مقارنة دلالة المعنيين بذلك في ظل الموارد الأخرى لاستعمال (الذين لا يؤمنون) وهي:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءَ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت ٤٤]. فالقرآن مع هؤلاء عمى عليهم، فقد جعل في آذانهم وقر، وورد في هذا المورد ما يتعاضد مع ما جاء في الموضع السابق بوجود جماعة لا يفيدها الوعظ، ولن ينفعها القرآن. كما قبل المورد الأخير من الانتظار، وفي هذا المورد توضيح أشدّ توضيحاً لمعنى الانتظار المذكور في موارد القرآنية بقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانظُرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود ١٢١-١٢٢]، فالفريقان يعمل كل منهما على مكانته ويتشارك ذلك مع دعوة وانتظار.

الانتظار والفتح

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ [السجدة ٣٠]. وهو المورد المهم في ايضاح أن الانتظار يستمر الى مجيء الفتح ويكمل الحلقة اتصالا مع المورد الأول الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَضِرُونَ﴾ [الأنعام ١٥٨]. فيوم الفتح هو يوم يأتي بعض آيات ربك وقد ذكرنا أن بعض آيات ربك دالة على الشخص المتعلق أمره بالله تعالى، لأن آيات ربك دالة على آيات معاينة لا آيات تتلى كالأيات القرآنية.

وفي قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ هذا الفتح؟ يحيل الى ما مضى في الآيتين السابقتين من الأهلاك لمن عصى الله وتحقق الفتح بذلك الماء الذي يأتي الأرض فتأكل منه من على هذا الأرض.

ويربطنا ايراد (يوم الفتح) ههنا بطائفة من الآيات الذي تتلاقى مضامينها مع ما تم لنا التنويه إليه في ظل الدلالات القرآنية فيما مضى. فقد وردت لفظة (الفتح) في (٦) موارد وقد جاءت فيه سورتان سميت الأولى سورة الفتح وهي سورة مهمة لما سيحدث في ذلك اليوم وجاءت فيها قبيل انتهاء السورة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح ٨٢].

من هنا فيوم الفتح هو يوم الدين الواحد، يوم يعمّ الاسلام بقاع المعمورة، يؤكد ما ورد في السورة الثانية وهي سورة النصر السورة التي توضح أن انتشار الاسلام بدخول الناس فيه على صورة جماعات جماعات، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر ١-٣].

نتائج البحث

يلحظ مما تقدم في الموارد التي جرى ذكرها للانتظار ما يأتي:

١. وجدنا تطابقاً بين عدد مرات استعمال انتظر ومنتظرون والفتح، بستة موارد قرآنية لكل منها، ولو رجعنا إلى استكشاف دلالة هذا العدد قرآناً لوجدناه قد استعمل مع أمور عظيم وهي أن خلق السموات والأرض وما بينهما كان في ستة أيام، ومن هنا فدلالة استعمال هذا العدد مع ألفاظ البحث تدخل الانتظار والفتح في جملة الأمور الكونية المرتبطة بالخلق والمشروع الإلهي فالفتح وانتظاره أمران مرتبطان بالمشروع الإلهي لهذا الكون.

٢. الطرف الأول في الانتظار هو الرسول ﷺ، ممثلاً للإرادة الإلهي في دعوة الطرف الثاني للانتظار. مع وجود الأمر الصريح بالفعل (قل) واستعمل له إنا منتظرون بالجمع، معبراً عن الإرادة الإلهية والقوى التي تنسجم معها ومنهم رسوله الكريم.

٣. الطرف الثاني: وهو طرف كذب بآيات الله وصدف عنها، يعبدون من دون الله أساء متبعين أباؤهم، اختلفوا، ويريدون آية تنزل على الرسول، وهم لا يؤمنون ولا تنفعهم الآيات، الذين كفروا، ويعني ذلك أن هؤلاء لم يكونوا بدءاً كافرين بل أحدثوا لهم كفراً وهذا القسم مهم جداً في بيان أن هناك من سيرفض أن يكون مع الرسول في انتظاره، بل يكون الفريق الآخر. وقد جاء الاستعمال ههنا مختلفاً عن الموارد الخمسة التي جاءت بانتظروا أما هذا المورد فقد جاء

بالمفرد بقوله: ﴿وَأَنْتَظِرُ إِنَّهُمْ مُتَنْظِرُونَ﴾ واقترن بيوم الفتح وهو اقتران محدد مع ما له من أهمية للرؤية المستقبلية الحتمية.

٤. وصفهم بالمنتظرين فيه تأكيد لما نقوله من أن الذين كفروا لم يكونوا سابقاً كافرين، بل هم جماعة مسلمة ارتضوا أن يكون انتظارهم على طريقة أخرى لا يرضيها الله تعالى ورسوله ﷺ.

٥. هناك طائفة من النتائج جرى التوصل إليها عبر اقترانات عدة للآيات موضع البحث وألفاظها، تؤكد أننا بانتظار يوم عظيم قادم هو يوم الفتح.
٦. إذا كان انتظار الرسول لتحقيق الإرادة الإلهية وانتظار ليوم الفتح، فإن انتظار غيرهم هو البقاء على ما كانوا عليه. فالانتظار للفريقين هو بقاء كل على عمله الأول وشاكلته التي قررها سابقا بانتهائه إلى أحد الفريقين.

الهوامش

١. وقد تنبّه سيويه لهذه القدرة التكوينية في المقولات الفعلية، ويبدو أنّ مفهوم التعدي عند سيويه يمثل مصطلح تلك القدرة مع دخول اعتبارات الصحة النحوية التي نوّه إليها سيويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة ينظر للتوسع: مفهوم الجملة عند سيويه ١٥٤: وما بعدها (التكوين الخطي للجملة عند سيويه).

٢. كتاب العين ٨ / ١٥٤.

٣. كتاب العين (٨ / ١٥٤).

٤. كتاب العين ٨ / ١٥٥.

٥. كتاب العين ٨ / ١٥٥.

٦. كتاب العين ٨ / ١٥٦.

٧. كتاب العين ٨ / ١٥٦.

٨. المقاييس في اللغة .

٩. لسان العرب / ٥ / ٢١٥.

١٠. لسان العرب / ٥ / ٢١٥.

١١. لسان العرب / ٥ / ٢١٥.

١٢. لسان العرب / ٥ / ٢١٥.

١٣. لسان العرب / ٥ / ٢١٥.

١٤. لسان العرب / ٥ / ٢١٥.

١٥. لسان العرب / ٥ / ٢١٥.

١٦. مفردات ألفاظ القرآن ٨١٢.

١٧. مفردات ألفاظ القرآن ٨١٢-٨١٣.

١٨. مفردات ألفاظ القرآن ٨١٣.

١٩. مفردات ألفاظ القرآن ٨١٣.

٢٠. مفردات ألفاظ القرآن ٨١٣.

٢١. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز / ٥ / ٨٢.

٢٢. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز / ٥ / ٨٢-٨٣.

٢٣. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ١٢ / ١٨٤-١٨٧.

٢٤. معجم كلمات القرآن الكريم، أ.د. محمد زكي محمد خضر، محرم ١٤٢٦هـ - آذار ٢٠٠٥م.

٢٥. في إطار منهجنا لفهم القرآن الكريم، نقترح بما يمكن أن نطلق عليه دلالة الأعداد في القرآن الكريم، ونعني بها جانبيين الأول عدد استعمال المادة التي يتم رصدها، والثاني استعمال اسماء العدد نفسها في الآيات القرآنية، يساعدنا على ذلك خصوصية المدونة القرآنية، ورصد جانب ما أطلق عليه (الإعجاز العددي في القرآن الكريم) وعلى ذلك أخرجت مؤلفات عديدة، مع التفاوت في جدارة النتائج التي يتوصل إليها وكيفية ذلك، ولكن الأمر عموماً ما زال بحاجة إلى التأمل والتأسيس على أسس رصينة. ومن هنا نذكر في العدد ستة الذي هو عدد موارد استعمال كل من اللفظتين (انتظر ومنتظرون) وفي هذا الرقم دلالة على اقترانه بتكوين الكون، وإدارته، بمعنى أن منتظرون يرتبط بمشروع تكويني للعالم، لا بد منه، وهو مشروع مستقبل سيكون في هذه الأمة. ﴿إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف ٥٤]. ﴿إِنَّ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس ٣]. ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولَنَّ مَا يَجْبُسُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [هود ٨-٧]، ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان ٩٥]. أما العدد خمسة وهو عدد موارد استعمال الفعل (انتظروا) فالمورد الذي تتضح في الدلالة هو قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران ١٢٥-١٢٦] هي دلالة التأييد الإلهي بنصر المؤمنين وفيه البشري بوقوع ذلك.

٢٦. تمت العملية الاحصائية بالبحث في القرآن الكريم عبر استخدام البحث التقني، مع التأكيد من ذلك عبر العودة إلى المعجم المفهرس للقرآن الكريم وغيره.

٢٧. قلنا في بحثنا المخصص لتقديم صياغة منهجية في فهم الدلالة القرآنية و (منهج المدونة المغلقة)، الموسوم بمنهج الدلالة القرآنية للألفاظ ص ٣٦٨: «أشارت طائفة من الآيات القرآنية إلى أن هناك ستة إلهية للتعامل مع الأمم السابقة المؤمنة منها، وتلك التي طغت، وعتت عن أمر ربها، وهذه السنة جارية عند نزول الآيات وفيما يستقبل من الأزمان، كما جرت فيما مضى، واستعمل القرآن اللفظ مع الماضين ثم استعملها مع الحاضرين، ومع ما يستقبل ما قد يشير إلى تعدد دلالة اللفظة الواحدة من نحو استعمال لفظة العذاب أو الكتاب، الأمر الذي يدعونا إلى القول بأن الحقبة الزمنية ستدخل عاملاً قوياً في تحديد الدلالة

المقصودة بوصفها جزءاً من سياق اللفظة اللغوي؛ وبهذا ستكون دلالة واحدة ذات مصداقين زمنيين». ٢٨. ينظر: سورة البقرة الآيات من ٢٤٦ إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة ٢٥٢]، وفيها قصة بني إسرائيل وتمليك طالوت عليهم يقاتلون معه . وسورة الجاثية الآيات (١-٦). ولعل ما مرّ من الآيات هي المعنية إلا أن الارتكاز كان الى ما نظنه بداية آيات متعلقة بموضوع محدد.

٢٩. مفردات ألفاظ القرآن / ١ / ٥٧١.

٣٠. الساعة في القرآن الكريم دراسة دلالية في ضوء منهج المدونة المغلقة. ٢٣.

٣١. تبدو الدلالة القرآنية للفظه أحاديث هي المقابل التاريخي للفظه (الأحاديث) ونعني بالمقابل التاريخي هو الغيب الذي مضى مما لا يعلمه الرسول الكريم ﷺ.



المصادر والمراجع

في دلالة الألفاظ القرآنية)، د.حسن عبدالغني
الأسدي، مجلة جامعة كربلاء، مج ٧، العدد ١،

إنساني ٢٠٠٩.

٩. المثاني في القرآن الكريم دراسة دلالية لألفاظ
القرآن الكريم في ضوء منهج المدونة المغلقة،
مجلة كلية التربية، بحوث المؤتمر العشرون لكلية
التربية، الجامعة المستنصرية، نيسان ٢٠١٣ م.

١٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد
فؤاد عبد الباقي، منشورات ذوي القربى، مطبعة
أميران، إيران، ط ٢، ١٤٢٣هـ-١٨٣١.

١١. معجم كلمات القرآن الكريم، أ.د. محمد زكي
محمد خضر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م.

١٢. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني
(ت ٥٢٤هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي،
دار القلم دمشق والصدار الشامية، بيروت،
الطبعة ٢٠٠٩، ١٣٤. مفهوم الجملة عند سيبويه،
د.حسن عبد الغني الأسدي، دار الكتب العلمية
بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م.

١٤. مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس
بن زكريا (ت ٥٩٣هـ) المحقق: عبد السلام محمد
هارون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة
١٤٢٣-٢٠٠٢ م.

١٥. منهج الدلالة القرآنية للألفاظ (مدخل
إلى تفسير القرآن بالقرآن)، د.حسن عبد الغني
الأسدي، مجلة آداب المستنصرية، ع ٩٤، ٢٠٠٩ م.

القرآن الكريم.

١. بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز
محمد الدين الفيروز بادي (ت ٧١٨هـ) المكتبة
العلمية بيروت.

٢. تأويل الأحاديث عند يوسف الصديق

ﷺ دراسة دلالية في ضوء منهج المدونة المغلقة،
ضمن أعمال مؤتمر كلية التربية للبنات ٢٠١٥، قيد
الطبع.

٣. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلامة
مصطفوي، نشر مركز نشر آثار العلامة المصطفوي،

٤. الساعة في القرآن الكريم دراسة دلالية في ضوء
منهج المدونة المغلقة، بحوث المؤتمر العلمي الثامن
عشر لكلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠١١ م.
(ص ١١-٣٢). نشر بمجلة والقلم ع ٤٢، س ٦
٢٠١٢، (ص ٤٢-٤٣).

٥. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي

(٥٧١هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم
السامرائي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، بغداد،
مطابع الرسالة، الكويت ١٩٨٠ م.

٦. كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه
(ت ٥٨١هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون،
عالم الكتب للطباعة والتوزيع، بيروت، د.ت.

٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور
الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط ١.

٨. المتشابه والمحكم في القرآن الكريم (بحث



الحجة بن الحسن عليه السلام وفلسفة الانتظار

زمن الحيرة انموذجا

أ.د. أياد عبد الحسين صيهود

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

الحجة بن الحسن هو الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين، وله دور كبير كأدوار آبائه في رسالة الدين الإسلامي الحنيف دين جده النبي ﷺ، لكن حدوث غيبته عن الناس كان الحدث الأبرز في حياته، والحدث المميز عن باقي الأئمة ﷺ، وبما انه كان الحدث المميز فمن الطبيعي أن يكون اختلاف في طبيعة استجابة الناس لهذا الحدث.

ومن تلك الاستجابات، يمكن أن تعدها الاستجابة السلبية التي، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة، تمثلت بوقوع الحيرة، في من يكون الإمام الثاني عشر، كما كان لوجود المتربصين بأهل البيت ﷺ والطامعين بهذا المنصب الإلهي المهم دور كبير في محاولة أيام الناس، وادعاء الإمامة عن الإمامة تارة، وادعاء السفارة تارة أخرى فوق بعض الناس في إرباك فكري وعقائدي خطير رغم تحذير النبي ﷺ والأئمة المعصومين من حدوثها قبل وقوعها، فضلاً عن دور الإمام المهدي ﷺ وسفرائه الأربعة في مواجهتها وتوعية الناس من خطورة الوقوع فيها، وهو ما يدور حوله البحث ولاسيما في مرحلة بداية وقوع الغيبة الصغرى سنة (٢٦٠ هـ ٨٧٣ م) أي مع بداية سفارة السفير الأول عثمان بن سعيد العمري، إذ كان للسفراء أثرهم الواضح في انجلاء الحيرة عن الناس في شأن تشخيص الإمام الثاني عشر للشيعنة، ومواجهتهم أدياء السفارة عن الإمام المهدي ﷺ البالغ عددهم تسعة أشخاص وفضح مؤامراتهم.

تكوّن البحث من مبحثين وخاتمة: المبحث الأول: تناول أسباب وقوع الحيرة، والمبحث الثاني: أحداث الحيرة وكيفية مواجهتها من الإمام المهدي ﷺ وسفيره الأول عثمان بن سعيد العمري. أما الخاتمة فقد تضمنت مجموعة من النتائج التي توصل إليها البحث، منها: أنّ الحيرة ذُكرت من قبل النبي محمد ﷺ، والأئمة الأطهار ﷺ قبل وقوعها، وهناك أسباب عديدة تقف وراء حدوثها، كما إن زمان حدوثها كان في بداية الغيبة الصغرى أي في عهد السفير الأول للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري.

ABSTRACT

•Ibn Al-Hassan the evidence is the twelfth of the infallibles and takes so great a role in the sound Islamic message as his fathers did. Yet his disappearance comes as seismic to all and as prominent for the other imams. As such it claims more attention and responses that instigates those who envy such a stance to fabricate certain machinations against AhlAlbayt.

•However, the research paper rotates around the small disappearance in 260 hegira / 873 CE ,that is to say ,it is with the first ambassador Othman Ibn Sa`aed Al-`Amari, the dilemma people embattled with fades at the hand of the ambassadors.

•The current research paper ramifies into two sections with a conclusion, the first tackles the reasons beyond the dilemma, the second does the events of dilemma and how both the imam and the first ambassador confront, ultimately the conclusion terminates at certain results: the dilemma mentioned by the prophet and the immaculate imams before it strikes people.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين، وشفيعنا في يوم الدين، وآله الطيبين الطاهرين. وبعد...

تعد مسألة الإمام المهدي ﷺ، من المسائل المهمة في الفكر الإسلامي، وقد ألفت كثير من المصادر عنها، قديماً وحديثاً. فضلاً عن كثير من الأحاديث الواردة بشأن الفكرة المهديوية وما يتعلق بها من آراء كلامية.

وهذه المسألة من الأهمية بحيث ارتبطت بها قيادة الأمة وإدارة شؤونها فمن المتوقع أن يترصد بها المترصدون لإرباك المسلمين في أن يبصروا القائد والإمام الحق الذي به تستقيم الأمور، فتولدت كثير من المشاكل والانحرافات الفكرية منذ بداية الغيبة الصغرى وتحديدًا في منتصف القرن الرابع الهجري.

ومن هذه المشاكل: هي (الحيرة) التي التهمت عقول الكثير من الناس في من يكون الإمام الحقيقي، ومن ينوب عنه، وتقف ورائها أسباب عدة تم التطرق إليها في هذا البحث، وتجدر الإشارة إلى أنها وقعت رغم تحذير النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام منها في أحاديث كثيرة، فضلاً عن دور الإمام المهدي ﷺ، وسفرائه (رضوان الله عليهم)، في مواجهتها من خلال التصدي لكل من يحاول أيها الناس وتغيير معتقداتهم ولاسيما في مرحلة الغيبة الصغرى التي استمرت ما يقارب سبعين عاماً (٢٦٠ - ٣٢٩ هـ / ٨٧٣ - ٩٤٠ م). وظهر فيها من ادعى أنه الإمام المهدي المنتظر، ومن ادعى أنه هو سفير الإمام، وهناك من ادعى أنه من وكلائه (رضوان الله عليهم)، ولأسباب وغايات مختلفة أو هموا بها الناس، تناولنا في هذا البحث مسألة الحيرة في بداية ظهورها مع بداية الغيبة الصغرى وتحديدًا في عهد السفير الأول عثمان بن سعيد العمري، وبمبحثين، الأول: تناول أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الحيرة، أما الثاني: فتناولنا أحداث الحيرة، وكيفية مواجهتها من قبل الإمام المهدي ﷺ وسفيره. نسأله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع، وأن يعجل بظهور مولانا صاحب العصر والزمان حفيد النبي ﷺ، والأئمة الأطهار كي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، أنه سميع مجيب .

المبحث الاول

أسباب وقوع الحيرة في الغيبة الصغرى

إن مسألة الحيرة من المسائل المهمة التي ابتليت بها الأمة لإبعاد وجه الحقيقة في المسألة المهدوية، فقد استغلت من جهات وأطراف منحرفة تحاول استغلال تلك المسألة في تحقيق كثير من المآرب، والأخطر من ذلك عندما تؤطر بإطار فكري ديني مستغلة مجموعة من الظروف السياسية والثقافية للإمة لإيهام الناس في الحقيقة الوجودية للإمام المهدي ﷺ، خصوصاً وأن الإمام المهدي ﷺ مرّ بمرحلة جديدة وحديثة في عهد الأمة الإسلامية وذلك عندما اختفى عن الأنظار بعد وقوع الغيبة الصغرى وهذا ما يمكن أن يعدّ السبب الأول لظهور الحيرة في عصر الغيبة. أما السبب الثاني للحيرة فهو ظاهرة السفارة المزيفة عن الإمام المهدي ﷺ في عصر الغيبة الصغرى، إذ لم تكن أمراً بعيداً عن أذهان مدّعيها بل كان ذلك في عهد الأئمة الذين سبقوا الإمام المهدي ﷺ.

ففي عصر الإمام علي الهادي عليه السلام خرج فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني^(١)، وكان من أتباع الإمام عليه السلام في سامراء، فخان الإمام عليه السلام والشيعية خيانة أصدر الإمام عليه السلام على أثرها أمراً إلى علي بن عمرو القزويني^(٢) بلعنه وقتله قائلاً له:

((اعتقد فيما تدين الله تعالى به ان الباطن عندي حسب ما أظهرت لك فيمن استنبأت عنه، وهو فارس لعنه الله فانه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه وقصده ومعاداته، والمبالغة في ذلك أكثر ما تد للسبيل إليه))^(٣).

ثم خرج عروة بن يحيى الذي كان نقيباً لوكلاء الإمام الهادي عليه السلام ومن بعده للإمام الحسن العسكري عليه السلام في بغداد؛ يقبض الأموال من الناس إلا أنه قام باختلاسها. واتهام الإمام الهادي عليه السلام بسرقتها لتبرير خروجه على الإمام عليه السلام، وبعدها قام بسرقة الأموال الشرعية عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام واحرق جزءاً منها، فدعا عليه الإمام عليه السلام فلم يلبث إلا قليلاً^(٤).

وكان في عهد الإمامين العسكريين ﷺ من الغلاة، الحسن بن محمد بن بابا القمي، أصبح مغالياً كذاباً منذ عهد الإمام الهادي ﷺ فذمه ولعنه. وبعدها زعم أن الإمام الحسن ﷺ بعثه نبياً وأنه باب للإمام ﷺ، فتبرأ ﷺ منه وكتب الى احد أتباعه والذي يعرف بالعبيدي^(٥) قائلاً: ((أبرأ إلى الله من الفهري^(٦)) والحسن بن محمد بن بابا القمي، فإني محذرك وجيع موال، واني ألعنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذنين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا إني بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فأفعل فانه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة))^(٧). أما في عصر السفراء (عصر الغيبة الصغرى ٢٦٠ - ٣٢٩هـ)، فقد توضحت معالم ادعاء السفارة وسرقة دور الإمام أكثر بازدياد مهام السفير الذي ينوب عن الإمام ﷺ في مجمل الأمور بتوجيه منه ﷺ، فظهرت سفارة أخرى تناهضها في الدعوى وتزاحمها في زعامة الحركة الشيعية وتجمع حولها الأنصار والأتباع.

وتقف الأسباب وراء ذلك في ضعف إيمان مدعي السفارة، والمنزلة المتميزة التي يتمتع بها السفير في المجتمع، والطمع في الأموال التي تنقل الى الإمام^(٨). وتجمع منها مبالغ كبيرة لأنها خمس الفائض من مكاسب مؤديها في كل عام، فكان الاعتماد على الثقات من الناس ليتكفل بمهمة السفارة أمراً يثير الجدل بين الطامعين^(٩). كما كان غياب الإمام المهدي ﷺ عن الأنظار مدعاة لدعوى السفارة الكاذبة وتزوير الاتصال به ﷺ، لأنها سرية بطبيعتها فلا يعاني المدعي صعوبة في بث إشاعة اللقاء به^(١٠).

فضلاً عن ذلك فإن الظروف الصعبة التي كان يعيشها السفراء الأربعة أعانت على نشوء ادعاء السفارة، لأنهم يضطرون في بعض الأحيان الى إنكار سفارتهم أمام الناس حتى لا تصل نشاطاتهم الى مسامع السلطات^(١١).

إذن فالسفارة الكاذبة: هي صورة منحرفة للسفارة الصادقة^(١٢)، تحاول استغلال المنزلة التي يتمتع بها الإمام المعصوم ﷺ، وسفيره بين القواعد الشعبية، لدواعٍ سياسية واجتماعية

واقتصادية و دينية، لذلك نرى بأنها تُجابه بقوة من الإمام ﷺ وسفرائه الصادقين للحفاظ على الصورة الحقيقية للدين الإسلامي من المنحرفين، وظهور أدياء السفارة بهذا الشكل ولا سيما وأنّ بعضهم قد كان مقرباً من الأئمة أوقع بعضهم في الحيرة والإرباك في تبعيته للإمام المعصوم .

ومن خلال تتبع اسباب ظهور الحيرة بين الناس يمكن لنا تعريفها بأنها: ظاهرة دينية واجتماعية حدثت بين الناس نتيجة تحيرهم فيمن يكون الإمام المعصوم والخلف بعد الإمام الحادي عشر الحسن العسكري ﷺ أو من ينوب عنه .

المبحث الثاني

أحداث الحيرة

أشار النبي ﷺ والأئمة الأطهار ﷺ الى مسألة الحيرة في عصر الإمام المهدي ﷺ، وذلك تحذير للناس من الوقوع فيها، وهذا ما يدفع المسلمين إلى البحث والتمحيص عن الإمام الحق والطريق القويم، وبالتالي يأمنوا فتنة تحيرهم وضياعهم في معرفة إمامهم المنتظر ﷺ، فقد قال النبي ﷺ: ((تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً))^(١٣). وقال الإمام علي ﷺ عن الحيرة: ((تكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام، ويقتدي فيها آخرون))^(١٤).

وروى الإمام الحسين ﷺ أن أباه ﷺ أخبره قائلاً: ((التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق والمظهر للدين والباسط للعدل. قال الحسين ﷺ: قلت له: يا أمير المؤمنين وان ذلك لكائن؟ فقال ﷺ: إي والذي بعث محمداً بالنبوة، واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة فلا يثبت على دينه الا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين اخذ الله عز وجل ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الايمان، وايدهم بروح منه))^(١٥).

ويبدو من هذه الأحاديث أن الحيرة ووقوع البعض فيها يكون طويل الأمد أي أنها تبدأ مع بداية اختفائه ﷺ في الغيبة الصغرى وتستمر حتى ظهوره، وما يهمننا من تلك الحيرة هي تلك التي وقعت في عصر الغيبة الصغرى فقط، اذ وقعت حيرة في العقائد الدينية المرتبطة بها شؤون الحياة المختلفة، نتيجة لظهور التيارات الباطلة ونفوذها التي استثمرت الجهل والفراغ الفكري في الأمة، مما يحمل الفرد الاعتيادي على الإنحراف أما المخلصون فهم ثابتون مؤيدون لا خوف عليهم، فمن بقي ثابتاً على ولاية أهل البيت ﷺ لم يقع في هذا الإنحراف.

حدثت الحيرة سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، ٢٦١هـ / ٨٧٤م، أي في بداية الغيبة الصغرى وسفارة السفير الأول محمد بن عثمان، فقد ذكر توقيتها الإمام محمد الجواد ﷺ عندما قيل له: من الخلف بعدك؟ فأجاب قائلاً: ((ابني علي وابنا علي وأطرق ثم رفع رأسه وقال إنا نكون

حيرة))^(١٦)، روى الشيخ الصدوق (ت ١٨٣ هـ / ٩٩١ م) عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله: ((في سنة مائتين وستين تفرق شيعتي))^(١٧)، وأكمل الصدوق قائلاً: ((وفيها قبض أبو محمد عليه السلام وتفرقت شيعته وأنصاره، فمنهم من انتمى الى جعفر، ومنهم من تاه وشك، ومنهم من وقف على الحيرة ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عز وجل))^(١٨). وقال احمد بن الدينور السراج^(١٩): «بعد مضي أبي محمد الحسن بن علي بسنة أو سنتين، وكان الناس في حيرة»^(٢٠). وهو تأكيد لقول الإمام العسكري عليه السلام، من أن الحيرة حدثت في تلك المدة .

في عهد السفير الأول عثمان بن سعيد العمري لم يظهر مدعو للسفارة ولم تذكر المصادر شيئاً منها، و السبب في ذلك أن الظروف لم تكن تساعد على دعوى السفارة، إذ ان الحقبة التي سبقت استلام السفير الأول لمهامه سفيراً للإمام وما بعدها، كانت السلطات فيها قد ضيقت الخناق على الإمام المهدي ﷺ وأنصاره، وأخذت في البحث عنهم والقضاء عليهم، فلم يكن بإمكان احد ان يحسب نفسه عليهم فيعرض نفسه للخطر^(٢١).

وهناك سبب آخر يقف وراء عدم ظهور مدعو السفارة في عهد السفير الأول، وهو إن السفير الأول كان ذا شخصية فعالة ومعروفة لدى الأئمة المتأخرين عليه السلام ومواليهم، فهو «أقوى وأسمى من أن يعارضه معارض بعد تاريخه المجيد مع الإمامين العسكريين عليه السلام»^(٢٢). وتركيتها له وأدائه لواجبه على وفق ما وصله من توجيهات، فجاءت سفارته للإمام المهدي ﷺ نتيجة مسيرته الطويلة مع الإمامين العسكريين عليه السلام، فلم يستطع احد إنكاره، فضلاً عن ذلك فإنه كان شاهداً على ولادة الإمام المهدي ﷺ وهذا ما يعضد موقفه تجاه من يحاول ادعاء مكانته، التي لم تكن معلنة إلا للثقات من الأنصار^(٢٣).

وعندما ولد الإمام المهدي ﷺ، طلبه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له: ((أشتر عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحم، وفرقه على بني هاشم، وعق عنه بكذا وكذا شاة))^(٢٤). وبالرغم من أن باقي السفراء وثقوا أيضاً الأئمة الثلاثة عليه السلام وكانوا موضع ثقة الجميع، كما كان السفير الأول عثمان بن سعيد. إلا أن أدعياء السفارة ظهروا في عهدهم.

والسبب في ذلك هو اختلاف الوقت إذ «إن التزوير لا يكاد يمتل وجوده قبل أن يعتاد الناس على هذا النحو من السفارة عن الإمام المهدي ﷺ، وهذا الاعتياد يحتاج في تحقيقه إلى زمن بطبيعة الحال، تعيشه القواعد الشعبية تجاه السفارة الصادقة وهو ما لم يتحقق في أول الغيبة الصغرى، وخلال الأعوام القليلة التي قضاها عثمان بن سعيد في سفارته»^(٢٥).

غير إن الذي حدث في سفارة عثمان بن سعيد العمري، هو وقوع الحيرة بين الناس حول شخص الإمام المهدي ﷺ، ولا سيما بعد وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ولم تكن وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سبباً في وقوع الحيرة بقدر ما كانت تحدث نتيجة الأمراض النفسية التي تصيب بعض الناس بسبب خطأ في تقديراتهم وضعف في شخصية الحائر العادي أمام الخوف والإرباك الذي استشرى بين الشيعة في تلك الأيام^(٢٦).

وهناك شخصية أثرت بنحو ما في حدوث الحيرة، وهو جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام، الذي كان شاذاً عن سيرة آبائه، فأطلق عليه جعفر الكذاب، شب وترعرع على الانحراف عن تعاليم الإسلام، فأخذ طريق اللهو والمجون^(٢٧). لذلك كان والده الإمام علي الهادي عليه السلام يأمر أصحابه بعدم مخالطته ويقول فيه: ((تنبوا ابني جعفراً إنه مني بمنزلة نمرود من نوح))^(٢٨).

عاصر جعفر السفير الأول عثمان بن سعيد، وابنه السفير الثاني محمد بن عثمان، وكان له نشاطات منحرفة مضادة عدة، وقف بها معارضاً للإمام المهدي ﷺ، فحدثت الحيرة نتيجة ذلك التحرك.

ومن هذه النشاطات ادعاؤه الإمامة بعد أخيه الإمام العسكري ﷺ وإنكاره لوجود أي وريث شرعي للإمام الحسن العسكري ﷺ غيره، فهو الذي يستحق تركته، وعندما عارضه الإمام المهدي ﷺ، أخبر السلطات بتحركات الإمام ﷺ فشنت حملات عدة لاعتقاله (٢٩). على اثر ذلك بين الإمام المهدي ﷺ موقفه منه لأتباعه، فأرسل توقيعاً الى السفير الثاني أبي جعفر العمري جاء فيه: ((وأما سبيل عمي جعفر وولده، فسبيل أخوة يوسف)) (٣٠).

وما يؤكد وقوع الحيرة إخبار الأئمة المعصومين ﷺ بها، إذ قال الإمام علي ﷺ للأصبغ بن نباته (٣١): ((تكون له غيبة وحيرة، يضل فيها أقوام ويتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين، وكم تكون الحيرة والغيبة؟ قال: ستة أيام أو ستة أشهر أو ستة سنين)) (٣٢).

وقد فسّر المجلسي في بحار الأنوار هذه السداسيات في تحديد مدة الحيرة والغيبة بـ(ستة أيام) بأنه مبني على وقوع البداية لهذا الأمر أو ان زمان مجموعها أحد الأزمنة المذكورة، وبعد ذلك ترتفع الحيرة وتبقى الغيبة (٣٣).

وكان للسفير الأول عثمان بن سعيد العمري أثر كبير في انجلاء الحيرة، أو على الأقل إضعافها وإرجاع الناس الى الارتباط الصحيح بالإمام المهدي ﷺ عندما نقل توقيعاً صدر من الإمام المهدي ﷺ حول ظاهرة الحيرة بعد ان تشاجر ابن أبي غانم القزويني (٣٤) مع جماعة من الشيعة فيمن يخلف الإمام الحسن العسكري ﷺ، فذكر أبو غانم أنه لا خلف بعد الإمام الحسن العسكري ﷺ فأنفذوا كتاباً إلى الإمام المهدي ﷺ عن طريق سفيره عثمان بن سعيد فورد جواب كتابهم منه ﷺ: ((بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله من الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب، إنه إنتهى إلي إرتياب جماعة منكم في الدين وما دخلهم في الشك والحيرة في ولاة أمرهم فغمنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لان الله معنا، فلا فاقة بنا لغيره، والحق معنا، فلن يوحشنا من قعد عنا، ونحن صنایع ربنا والخلق بعد صنایعنا. يا هؤلاء - مالكم في الريب تترددون، وفي الحيرة

تنعكسون؟ أو ما سمعتم الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣٥). أو ما علمتم ما جاءت به الآثار ما يكون ويحدث في أئمتكم على الماضين والباقيين منهم ﷺ؟ أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تتدون بها من لدن آدم ﷺ إلى أن ظهر الماضي كلما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلما قبضه الله إليه ظننتم ان الله أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون. وإنَّ الماضي مض سعيدياً فقيداً على منهاج آبائه (حذوا النعل بالنعل) وفينا وصيته، وعلمه، ومن هو خلفه، ومن يسد مسده، ولا ينازعنا موضعه إلا ظال آثم، ولا يدعيه دوننا إلا كافر جاحد، ولولا أمر الله لا يغلب، وسه لا يظهر، ولا يعلن، لظهر لكم من حقنا ما تبين منه عقولكم، ويزيل شكوككم، ولكنه ما شاء الله كان ولكل اجل كتاب. فاتقوا الله، وسلموا لنا، وردوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار، كما كان منا الإيراد، ولا تحاولوا كشف ما غُطي عنكم ولا تملوا عن اليمين وتعدلوا إلى اليسار، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنّة الواضحة فقد نصحت لكم والله شاهد علي وعليكم، ولولا ما عندنا من محبة صاحبكم، ورحمتكم والإشفاق عليكم لكننا عن مخاطبتكم في شغل ما قد امتحننا به من منازعة الظالم العتل الضال، المتتابع في غيه، المضاد لربه، المدعي ما ليس له، الاحد حق من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب^(٣٦). وفي ابنة رسول الله ﷺ ل أسوة حسنة، وسيرتدي الاهل رداءه^(٣٧) وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، عصمنا الله وإياكم من المهالك، والأسواء، والآفات، والعاهات كلها برحمته انه ول ذلك، والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً، والسلام على جيع الأوصياء، والأولياء، والمؤمنين ورحمة الله وبركاته وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليماً^(٣٨).

وصف التوقيع الحيرة بأنها فتنة افتتن بها بعض الناس المشككين المرتابين في دينهم وولادة أمرهم، وضرورة طاعتهم كما جاء في كتاب الله من سورة النساء، وكما جاءت به أحاديث

الأئمة المعصومين ﷺ وآثارهم من قبل . مشيراً الى ان الأرض لا تخلو من حجة أما ظاهراً أو مغموراً، منذ ان خلق الله آدم ﷺ فلا انقطاع للحجج بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري ﷺ، فكلما ذهب أحدهم جاء آخر مكانه، لأنهم هم السبب بين الله تعالى وبين خلقه .

وأكد ﷺ على أن أبيه الإمام الحسن العسكري ﷺ قد أوصى به (وفينا وصيته)، تلافياً لوقوع الفتنة في الخلق بعده، ومن ينازعه كافر مبطل خارج عن دين الله، وهذه هي نصيحة للمتحيين للرجوع الى الحقيقة والسنة الواضحة الحقبة التي جاء بها النبي ﷺ واتبعه عليها بعده أهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ.

وفي توقيع آخر جاء ردّاً على سؤال بعثه السفير الأول عثمان بن سعيد، وابنه محمد بن عثمان، حول مسألة الإمامة وما عليه الناس من حيرة بعد أن أخبرهما الميثمي^(٣٩) عن مناظرات جرت بين رجل يقال له المختار^(٤٠) مع بعض الشيعة. إذ كان ينكر أن يكون للإمام الحسن العسكري ﷺ ولد، وكان يدعو إلى إمامة جعفر بن علي .

جاء في التوقيع: ((وفقكما الله لطاعته وثبتكما على دينه وأسعدكما بمرضاته انتهى إلينا ما ذكرتا أن الميثمي أخبركما عن المختار ومناظرته من لقي واحتججه بأن خلف غير جعفر بن علي وتصديق إياه وفهمت جميع ما كتبتم به ما قال اصحابكم عنه، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد اللاء ومن الضلالة بعد الدى ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن فإنه عز وجل يقول: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٤١) كيف يتساقطون في الفتنة ويترددون في الحيرة ويأخذون يميناً وشمالاً فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عادوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة أو علموا ذلك فتناسوا أما تعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة أما ظاهراً وإما مغموراً؟ أو ل يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيهم ﷺ واحداً بعد واحد إلى أن أفض الأمر بأمر الله عز وجل إلى الماضي -يعني الحسن بن علي صلوات الله عليه- فقام مقام آبائه ﷺ يدي إلى الحق والى طريق مستقيم

كان نوراً ساطعاً وقمراً زاهراً اختار الله عز وجل له ما عنده فمض على منهاج آبائه ﷺ حذو النعل بالنعل على عهدٍ وأخفى مكانه بمشيته للقضاء السابق والقدر النافذ وفينا موضعه ولنا فضله. ولو قد أذن الله عز وجل فيما قد منعه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حليه وأبين دلاله وأوضح علامة، ولأبان عن نفسه وقام بحجته ولكن أقدار الله عز وجل لا تغالب وإرادته لا ترد وتوفيقه لا يسبق فليدعوا عنهم إتباع الوى وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه ولا يبحثوا عما ستر عنهم فإثموا ولا يكشفوا ستر الله عز وجل فيندموا وليعلموا أن الحق معنا وفينا ولا يقول ذلك سوانا إلا كذاب مفترٍ ولا يدعيه غيرنا إلا ضال غوى، فليقتصروا منا هذه الملة دون التفسير ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله) (٤٢).

عند التمعن في مضمون هذا التوقيع نجد أنه مشابه لمضمون التوقيع الأول. يدل على حدوث كلام كثير فيمن يكون الإمام المهدي المفترض الطاعة. وهو كما يبدو لم يصدر للسفير الأول عثمان بن سعيد وأبنة السفير الثاني محمد بن عثمان، كونهم يجهلون هذه المسألة وأنهم وقعوا في حيرة كباقي الناس، إنما أرسل نتيجة إخبارهم للإمام ﷺ عن المناظرات التي تحدث ليحصلا على إجابة تكون كدليل يؤكد وجوده لدى المتحيرين. وإلقاء للحجة على الناس كي تنتهي الحيرة التي شغلت بعضهم كثيراً. فضلاً عن ذلك فإن هذا التوقيع جاء تأكيداً للتوقيع الأول، وتحسباً لحدوث طعن وتشكيك في صدور الأول، وفيه إشارة للحكمة الإلهية للغيبة. ولولا ذلك لظهر الإمام بأبين دلالة وأوضح علامة.

ويبدو أن الحيرة أخذت حيزاً كبيراً في واقع الحياة الفكرية والدينية وحتى السياسية رغم تنويه وتحذير النبي ﷺ، والأئمة من خطورتها وحتمية حدوثها فقد قال الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ((... اما ان له غيبة يحار فيها الاهلون، وملك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون، ثم يرج فكاني انظر الى الاعلام البيض تحفق فوق راسه بنجف الكوفة)) (٤٣)، في

هذه النص إشارة واضحة وتشخيص دقيق من الإمام العسكري عليه السلام حول واقع المجتمع الذي وقع في تلك الحيرة، فقد وصفهم بالجاهلين لكنهم جاهلون بماذا؟ أنهم يجهلوا حقيقة الإمامة وما جاء به النبي ﷺ من مبادئ الدين الحنيف وأصوله، فضلا عن جهلهم بالتحذير والتنويه في الأحاديث التي ذكرت الحيرة ولو كان هناك إدراك ووعي لما تقدم من أحاديث النبي ﷺ والأئمة من بعده لما وقع البعض في الحيرة، كما بين الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن نتيجة هذا الجهل والبطلان هو الهلاك.

الخاتمة

بناءً على ما تناوله البحث فقد توصل الى ما يلي:

١. أنّ الحيرة ذكرت من قبل النبي محمد ﷺ، والأئمة الأطهار (عليهم السلام) قبل وقوعها، وهذا يدل على خطورتها في تشويه الفكر الإسلامي بين العامة، لذلك حذروا منها لتنبه الناس عليها، وذلك من خلال قيامهم بالتمحيص والبحث والتمسك بالطريق القويم للإمامة .
٢. هناك أسباب عدّة تقف وراء وقوع الحيرة بين الناس تمثلت بوقوع الغيبة الصغرى للإمام المهدي ﷺ التي تعد شيئاً جديداً نوعاً ما بالنسبة للأمة فحاول البعض استغلال ذلك .
٣. ظهور ادعاء الإمامة عن الإمام المعصوم، وأدعاء السفارة، ساهم في وقوع الحيرة بين الناس، ولا سيما إذا ما علمنا أنّ بعض هؤلاء كان من المقربين للأئمة المعصومين (عليهم السلام) .
٤. وقعت الحيرة في بداية الغيبة الصغرى أي في عهد السفير الأول للإمام المهدي ﷺ عثمان بن سعيد العمري .
٥. واجه الإمام المهدي الحيرة من خلال ارساله لتواقيع إلى سفيره الأول عثمان بن سعيد العمري لإيضاح الحقيقة للناس، بعد وصف التوقيع للحيرة بأنها فتنة افتتن بها بعض الناس المشككين المرتابين في دينهم وولادة أمرهم .
٦. كان للسفير الأول دور كبير في انجلاء الحيرة أو تقليل حدّتها بين الناس من خلال تحركه الفكري ومحاجاته، ونقله لتواقيع الإمام المهدي ﷺ .

الهوامش

١. فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني، نزيل العسكر، أدرك الإمام الرضا عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام، والإمام الحسن العسكري عليه السلام، قل ما روى الحديث إلا شاذاً، له مؤلفات عدة منها كتاب الرد على الواقعة وكتاب الحروب، وكتاب التفصيل، وكتاب عدد الأئمة عليهم السلام من حساب الجمل وغيرها. إدعى الوكالة عن الإمام الهادي عليه السلام. قتل على يد جنيد أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام لكن لم تذكر سنة قتله. النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣١٠؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٨٠٨-٨٠٦؛ رجال الطوسي، ص ٣٩٠؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص ٤٨١؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص ١٥٠.
٢. علي بن عمرو القزويني، عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خصاله انه حاجب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، خرج على يده توقيع في لعن فارس بن حاتم روى النص عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وروى عنه الكليني في كتابه الكافي. راجع، الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٢٦؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٨٨٣.
٣. الطوسي، الغيبة، ص ٣٥٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٢.
٤. الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج ١، ص ٨٦١.
٥. العبيدي، هو محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين العبيدي، يكنى بأبي جعفر جليل، ثقة، كثير الرواية، روى عن الإمام الجواد عليه السلام، والإمام الهادي عليه السلام، والإمام العسكري عليه السلام، له مؤلفات عدة في الإمامة، وأبواب الفقه منها كتاب الأمل والرجاء وغيره. راجع، الكشي، رجال الكشي، ص ٥٣٧؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٣٣؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص ٢٤١؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص ٢٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ٢٠٩؛ الارديلي، جامع الرواة، ج ٢، ص ٦٦١.
٦. الفهري، هو محمد بن نصير النميري، الفهري، احد الخارجين عن الأئمة المعصومين من المتأخرين، وادعى السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام. توفي سنة ٧٢هـ. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٨٠٥؛ الغيبة، ص ٨٩٣.
٧. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج ٢، ص ٨٠٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ٨١٣.
٨. الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج ١، ص ٤٩٠.
٩. الشبوط، إبراهيم، المهديّة في عصر الغيبة، ط ١ مؤسسة الأعلمي، بيروت ٧٢٤١هـ، ص ٠٨١.
١٠. الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج ١، ص ٤٩٠.
١١. الشبوط، المهديّة، ص ١٨٠.
١٢. الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج ١، ص ٩٨٤.
١٣. ابن بابويه، الامامة والتبصرة من الخيرة، ص ١٢٠.
١٤. المصدر نفسه.

١٥. الصدوق، كمال الدين، ص ٣٠٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥١، ص ١١٠.
١٦. النعماني، الغيبة، ص ١٩١.
١٧. كمال الدين ٤٠٨،
١٨. المصدر نفسه.
١٩. احمد بن الدينور: هو احمد بن محمد الدينوري، كتبه أبو العباس السراج، لقبه أستاره أو أتسونه، أدرك زمان الإمام الحسن ﷺ كان ثقة، كريماً عند الشيعة، عده الطوسي، ممن لم يروا عن واحد من الأئمة ﷺ. لم تذكر المصادر التاريخية ولادته ووفاته. راجع، النجاشي، رجال النجاشي، ص ٥٩؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٤٠٧؛ الأردبيلي، جامع الرواة، ج ١، ص ٦٥؛ البروجردي، طرائق المقال، ص ٢٢٥؛ الشاهرودي، مستدركات، ج ١، ص ٦٣٤.
٢٠. الطبري، دلائل الإمامة، ص ٥٢٠؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج ٨، ص ٩٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٣٠٠.
٢١. المصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج ١، ص ٥٩٤.
٢٢. المصدر نفسه.
٢٣. المصدر نفسه.
٢٤. الصدوق، كمال الدين، ص ١٣٤.
٢٥. المصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج ١، ص ٥٩٤.
٢٦. الموسوي، ياسين، الحيرة في عصر الغيبة الصغرى، ط ٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت ٢٠٠٨م، ص ٢٨-٢٩.
٢٧. سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية، الحياة السياسية لأئمة أهل البيت ﷺ، مؤسسة المعارف الإسلامية، د.م، د.ت، ص ٢٥٢.
٢٨. البحراني، مدينة المعاجز، ج ٧، ص ٧٢٥.
٢٩. سلسلة العلوم، الحياة السياسية، ص ٢٥٢.
٣٠. الطوسي، الغيبة، ص ٢٩٠؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ٣، ص ١١١٣.
٣١. الأصبغ بن نباته، بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم من بني تميم، وهو من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكثير الحب له، وكان كثير الرواية في الفقه والتفسير، ولاه الإمام علي ﷺ على مصر، وشهد معه حرب الجمل، وصفين، وهو من جملة شرطة الخميس، لم تذكر المصادر سنة ولادته وذكر ابن حجر انه كان من الثالثة أي انه مات بعد سنة ١٠٠هـ / ٧١٨م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٢٥؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص ٨؛ الطوسي، الفهرست، ص ٨٥؛ الحلبي، خلاصة الأفعال، ص ٧٧؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م، ج ١.

٣٢. الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٣٨؛ الصدوق، كمال الدين، ص ٩٣١.
٣٣. راجع، بحار الأنوار، ج ١٥، ص ٩١١.
٣٤. ابن أبي غانم القزويني: هو محمد بن عبد الله بن أبي غانم القزويني، لم تذكره مصادر التاريخ والتراجم والطبقات، سوى برواية واحدة عن وقوع فرج الإمام المهدي ﷺ رواها عنه ابن بابويه القمي في كتابه الإمامة والتبصرة، ومن بعده الشيخ الصدوق، في كتابه كمال الدين وتمام النعمة. راجع، القمي، الإمامة والتبصرة، ص ١٣١؛ الصدوق، كمال الدين، ص ٣٨١؛ الشاهرودي، مستدركات، ج ٧، ص ٤٦١.
٣٥. النساء، الآية ٥٩.
٣٦. يقصد به جعفر الكذاب، ويحتمل خليفة ذلك الزمان، وهو المعتمد العباسي. المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ١٨٠.
٣٧. رداة: يقال أردأه: أفسدته وأهلكه. الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٦؛ الزبيدي، تاج العروس، ج ١، ص ١٦١.
٣٨. الطوسي، الغيبة، ص ٢٨٧-٢٨٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٧٩-٢٧٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٥، ص ١٧٨-١٨٠.
٣٩. الميثمي، لعله محمد بن الحسن بن زياد الميثمي، الذي قالوا عنه ثقة، ومن أصحاب الرضا عليه السلام، أو احمد بن الحسن الميثمي، الذي قال الطوسي عنه: انه كان واقفاً، وقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام وهو على حال ثقة صحيح الحديث معتمد عليه، ولعله علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار من وجوه المتكلمين الشيعة، النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٥١، ٣٦٣؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص ٣٣٢؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص ٢٦٣؛ الاردبيلي، جامع الرواة، ج ٢، ص ٩٢؛ الشيرازي، كلمة الإمام المهدي، ص ٥٤٢.
٤٠. لم نجد له ترجمة تذكر في مصادر التاريخ والتراجم والطبقات.
٤١. العنكبوت، الآية ٢.
٤٢. الصدوق، كمال الدين، ص ٥١١-٥١٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣٥، ص ١٩٠-١٩١.
٤٣. المصدر نفسه.

المصادر والمراجع

علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم
هـ. ١٤٠٥

القرآن الكريم

١٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بيك
(ت ٤٦٧هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق احمد
الارناؤوط تركي مصطفى، دار إحياء التراث،
بيروت ٢٠٠٠ م.

١. الاردبيلي، محمد بن علي الغروي
(ت ١٠١١هـ) جامع الرواة وإزاحة الاجتباهاات
عن الطرق والإسناد، مكتبة المحمدي، د.م، د.ت.

١١. الطبرسي، أبي منصور احمد بن علي
(ت ٨٤٥هـ) الأحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان،
دار النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٦ م.

٢. البحراني، هاشم بن سليمان (ت ١١٠٧هـ)
مدينة المعاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج
على البشر، تحقيق عز الله المولائي، ط١، مؤسسة
المعارف، قم، ١٤١٣هـ.

١٢. الطبري، محمد بن جرير (ت ق ٤ هـ دلائل)
الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، ط١،
مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٣ هـ.

٣. ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى
عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت
١٩٩٥ م.

١٣. الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)
اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي،
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم. ١٤٠٤ هـ

٤. ابن داود الحلبي، تقي الدين الحسن بن علي
(ت ٧٠٧هـ) رجال ابن داود، تحقيق محمد صادق
بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٧٢ م.

١٤. الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق جواد
القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي،
قم. ١٤١٥ هـ

٥. ابن سعد، محمد (ت ٣٢٢هـ) الطبقات الكبرى،
دار صادر، بيروت، د- ت.

١٥. الطوسي، الغيبة، تحقيق عباد الله الطهراني،
علي احمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية،
قم. ١٤١١ هـ

٦. الحلبي، الحسن بن يوسف بن علي المطهر
(ت ٦٢٧هـ) خلاصة الأقوال في علم الرجال،
المطبعة الحيدرية، النجف ١٨٣١هـ.

١٦. الطوسي، الفهرست، تحقيق جواد القيومي،
ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، د- م، د- ت.

٧. الراوندي، قطب الدين (ت ٣٧٥هـ) الخرائج
والجرائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، ط١،
مؤسسة الإمام المهدي، قم، ١٤٠٩ هـ.

١٧. القمي، علي بن بابويه (ت ٩٢٣هـ) الإمامة
والتبصرة من الحيرة، تحقيق مدرسة الإمام
المهدي، ط١، مدرسة الإمام المهدي، قم. ١٤٠٤ هـ


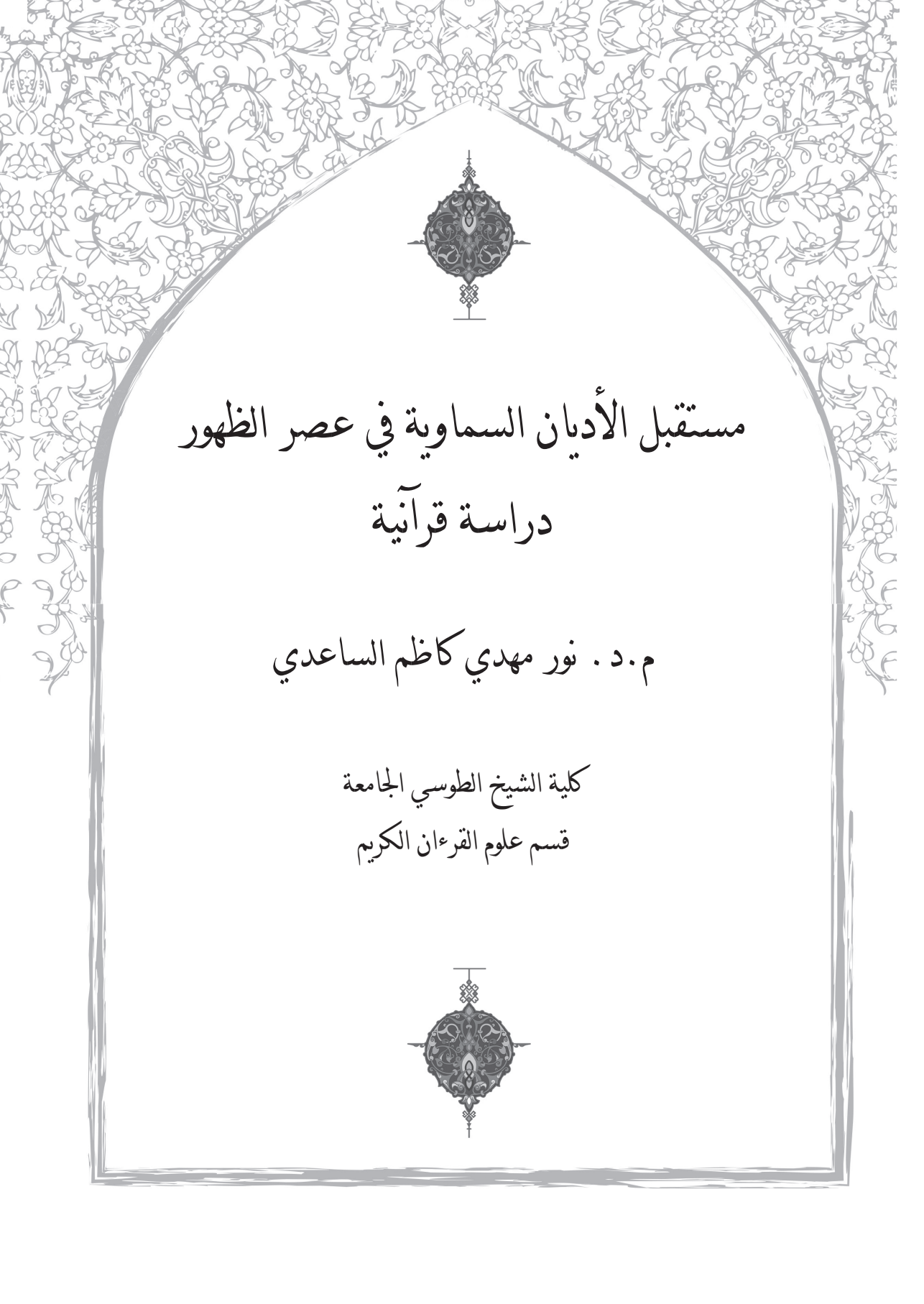
٨. الزبيدي، محب الدين أبي فيص
(ت ٥٠٢١هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس،
تحقيق، علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٤ هـ
١٩٩٤ م.

١٨. الكشأب و عمرو محمد بن عمر (ت ق ٤ هـ)
رجال الكش، تحقيق حسن المصطفوي جامعة
مشهد، مشهد ١٣٤٨

٩. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن
بابويه (ت ١٨٣هـ) كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق

١٩. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت ٨٢٣-٩٢٣هـ) الأصول من الكافي، تحقيق، علي أكبر غفاري، ط ٥، دار الكتب الإسلامية، طهران. ١٣٦٣هـ.
٢٠. النجاشي، أبو العباس احمد (ت ٤٥٠هـ) رجال النجاشي، تحقيق موسى الشيري الزنجاني، ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٦هـ.
٢١. النعماني، محمد بت إبراهيم (ت ٣٨٨هـ) الغيبة، تحقيق فارس حسون كريم، ط ١، أنوار الهدى، قم ١٤٢٢هـ.
٢٢. المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ) بحار الأن وار، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣.
٢٣. سلسلة المعارف الإسلامية، الحياة السياسية لائمة أهل البيت (عليهم السلام)، مؤسسة المعارف الإسلامية، د-م، د-ت.
٢٤. الشاهرودي، علي النماري (ت ١٤٠٥هـ) مستدركات علم رجال الحديث، ط ١، مطبعة شفق، طهران ١٤١٢هـ.
٢٥. الشبوط، إبراهيم، المهديّة في عصر الغيبة، ط ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٧٢٤١هـ.
٢٦. الشيرازي، حسن، كلمة الإمام المهدي، ط ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣ م.
٢٧. الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي ﷺ (تاريخ الغيبة الصغرى) ط ٢، مطبعة الغدير، د-م. ١٤٢٥هـ،
٢٨. الموسوي، ياسين، الخيرة في عصر الغيبة الصغرى، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٢٠٠٨ م.






مستقبل الأديان السماوية في عصر الظهور
دراسة قرآنية

م. د. نور مهدي كاظم الساعدي

كلية الشيخ الطوسي الجامعة
قسم علوم القرآن الكريم



ملخص البحث

البحث عن مستقبل الأديان حاجة ملحة تدفع اتباع تلك الأديان لمعرفة مصيرهم ومصير اديانهم، ولذلك ظهرت نظرية صراع الأديان او الحضارات التي تبحث ان المستقبل سيكون للدين الاقوى بعد ان يخوض صراعا وصداما مع الحضارات والأديان الأخرى، وذهب آخرون الى تبني نظرية حوار الحضارات والأديان كبديل عن الصراع، وزاد الآخرون على الحوار بين الأديان تعارفها وهي مرحلة أكثر تقدما وتطورا من الحوار، إضافة الى بحث موضوع نهاية العالم فيما اذا كانت نهاية مأساوية كما تصورها معركة (هرمجدون) او نهاية سعيدة تملأ الأرض خيرا وعدلا على يد المهدي المنتظر كما تقدمها النصوص الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، وكل ذلك لأجل تشخيص ملامح المستقبل لكل دين من الأديان الكبرى لاسيما التوحيدية منها وهي اليهودية والمسيحية والاسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعرض النص القرآني ان الأديان السماوية التي سبقت الاسلام قد تعرضت للتحريف والتعطيل والتضييع، ولم يقتصر الامر على اليهودية والمسيحية فقط، بل شمل الاسلام كذلك حتى عاد غريبا كما بدأما اصابه من تشويه وتعطيل وتحريف وتضييع لاحكامه التي انزلها الله سبحانه، وبات الانسان يسفك دم اخيه الانسان باسم الدين، مما يعني ان الشرائع السماوية لم تحقق مهامها في الأرض بشكل تام، واندرست معالمها لما تعرضت له، كل ذلك يستدعي بحث مستقبل تلك الأديان السماوية التي جاءت لانتشال البشرية من براثن الشرك الى معين التوحيد، وإذا كانت تلك الأديان ومنها الاسلام لم تظهر بشكلها التام كما انزلها الله سبحانه على يد الانبياء والرسول الخاتم، فمن المظهر لها وقد وعد الله سبحانه بتمكين المؤمنين واستخلافهم في الأرض؟

المقدمة

البحث عن مستقبل الاديان حاجة ملحة تدفع اتباع تلك الاديان لمعرفة مصيرهم ومصير اديانهم، ولذلك ظهرت نظرية صراع الاديان او الحضارات؛ لأن «الديانة خاصة اساسية في التعريف بالحضارات»^(١)، والتي تبحث ان المستقبل سيكون للدين الاقوى بعد ان يخوض صراعا وصداما مع الحضارات والاديان الاخرى، وذهب اخرون الى تبني نظرية حوار الحضارات والاديان كبديل عن الصراع، وزاد الاخرون على الحوار بين الاديان تعارفها وهي مرحلة اكثر تقدما وتطورا من الحوار، وكل ذلك لأجل تشخيص ملامح المستقبل لكل دين من الاديان الكبرى لاسيما التوحيدية منها وهي اليهودية والمسيحية والاسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعرض النص القرآنيان الاديان السماوية التي سبقت الإسلام قد تعرضت:

- للتحريف؛ لقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: [النساء ٤٦].
- للتعطيل؛ لقوله تعالى: ﴿أَفْتَوْا مُنُونًا بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾: [البقرة ٨٥].
- للتضييع؛ لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾: [مريم ٥٩].

ولم يقتصر الامر على اليهودية والمسيحية فحسب، بل شمل الاسلام كذلك حتى عاد غريبا كما بدأ^(٢) لما اصابه من تشويه وتعطيل وتحريف وتضييع لاحكامه التي انزلها الله سبحانه، وبات الانسان يسفك دم اخيه الانسان باسم الدين، مما يعني ان الشرائع السماوية لم تحقق مهامها في الارض بشكل تام، واندرست معالمها لما تعرضت له، كل ذلك يستدعي بحث مستقبل تلك الاديان السماوية التي جاءت لانتشال البشرية من براثن الشرك الى معين التوحيد، فضلاً عن ان اندراسها لابد له من محيي ومظهر، وإذا كانت تلك الاديان ومنها الاسلام لم تظهر بشكلها التام كما انزلها الله سبحانه على يد الانبياء والرسول الخاتم، فمن المظهر لها وقد وعد الله سبحانه بتمكين المؤمنين واستخلافهم في الارض؟ من هنا تمحور البحث على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول

ظهور الاسلام على الاديان

مستقبل الاديان عموما والسماوية على وجه الخصوص مرتبط بمفهوم ظهور الاسلام على غيره من الاديان، والذي اشار له قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣؛ الصف: ٩]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٨٢]، إذ ان الايات الكريمة تشير الى ما يتعلق بظهور الاسلام على بقية الاديان، حتى عدها المفسرون وعدا إلهيا لا بد من تحققه، وفي ظل ظهور الاسلام على بقية الاديان لن يبقى لها وجود، «فلو استمرت الاديان في موازاة الاسلام على احقيتها لم يكن هناك مجال لكي يظهر الله ديننا ما من الاديان الحق»^(٣)، ومن ثمَّ فإن اتباع غير الاسلام باطل لا يمكن قبوله ولا نجاة له في الآخرة، مما يعني ان لمستقبل لبقاء ووجود اي دين اخر غير الاسلام، وهو أمر فيه نظر، إذ ان مسألة ظهور الدين على الدين كله تحتاج الى بحث دقيق في عموم النص القرآني، فلا بد من الوقوف عند المراد بدين الحق، ومن ثم معنى الظهور وكيفيته، وبذلك تكون الرؤية اوضح فيما يخص علاقة ظهور الاسلام على بقية الاديان السماوية بوجود تلك الاديان وبقائها، وذلك على النحو الآتي:

اولاً: دين الحق في النص القرآني

جاء لفظ الدين مضافاً للحق في القرآن الكريم في أربعة موارد، ثلاثة منها تقدم ذكرها في صدر المطلب، والرابعة في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وانقسم المفسرون في المراد من «الدين الحق» على رأيين هما:

الاول: ان المراد به دين الاسلام، وأضيف الى الحق لأن غير دين الإسلام باطل، فلا يوجد دين آخر يماثله في كونه حقاً^(٤)، فهو الثابت الناسخ لسائر الأديان و مبطلها^(٥).

الثاني: هو الدين الذي أنزله الله على أنبيائه^(٦)، وسمي بالحق لأنه يهدي اليه لما فيه من التسليم لإرادة الله التشريعية المنبعثة عن إرادته التكوينية^(٧)، لقوله تعالى:

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الاحقاف: ٣٠] ومن يدين به يجب ان يتحقق عنده التسليم النفسي والخضوع القلبي للشريعة الإلهية^(٨)، وبذلك يكون المراد من دين الحق هو دين التوحيد عموماً.

وما يدل على رجحان الرأي الثاني في بيان معنى «دين الحق» الامر الالهي في القرآن الكريم باتباع «ملة ابراهيم حنيفاً» ومعنى الحنيف هو: «المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق»^(٩)، زيادة على ان كل شريعة من الله سبحانه هي شريعة حق لما فيها من هدى ونور، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٦٤] وتحريف تلك الشرائع هي محاولة لإطفاء نور الله تعالى ويأبى سبحانه الا ان يتم نوره؛ لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَمِّمُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، واتمام النور انما يكون بظهور

دين التوحيد الذي جاءت به تلك الشرائع؛ ولذلك اعقبت آيات اتمام النور بآيات ظهور الدين، مما يؤكد ان السياق القرآني ناظر الى كون دين الحق الذي وعد الله سبحانه بإظهاره واعلاء كلمته هو التوحيد بكل مصاديقه التي تم اخفاءها واضاعتها وتحريفها؛ لقوله تعالى في نهاية الاية «ولو كره المشركون»، والشرك يقابله التوحيد.

ثانياً: معنى ظهور الدين

يذكر صاحب العين أن الظهور في اللغة هو «بَدُوَ الشَّيْءُ الحَفِيَّ، وَالظَّفَرُ بالشَّيْءِ، وَالإِطْلَاعُ عَلَيْهِ، فَظَهَرْنَا عَلَى العَدُوِّ، وَاللهُ أَظْهَرَنَا عَلَيْهِ، أَي: أَطْلَعَنَا»^(١٠)، والظهور من ظهر وهو «أَصْلُ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَّيْءُ يُظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ»^(١١)، وظهر عليه غلبه^(١٢).

وبذلك يكون المعنى اللغوي للظهور يدور بين البدو بعد الخفاء وبين القوة والغلبة بالظفر، مما يفهم منه ان ظهور «الدين على الدين كله» من جهة اللغة يعني انكشافه بعد خفاء واطلاعه على غيره من الاديان بما لديه من قوة للظفر بها وغلبتها.

أما معنى «ظهور الدين على الدين كله» لدى المفسرين من قدماء ومحدثين فهو اعلاء دين الاسلام على جميع الاديان بالحجة والحكم والغلبة والقهر لها، حتى لا يبقى على وجه الارض دين الاغلبة وانتصر عليه، وفي الآية دلالة على عالمية الاسلام، ووعد بغلبته على سائر الملل والأديان^(١٣)، ولكن هل معنى غلبة الاسلام على الاديان الاخرى يعني زوال تلك الاديان لاسيما التوحيدية منها؟

من خلال المعنى اللغوي وما ذهب إليه المفسرون في بيان المراد من ظهور الدين، ان الظهور لا يحمل معنى زوال الظاهر عليه؛ وهذا ما التفت اليه القرطبي في احكامه إذ قال: «لَيْسَ المُرَادُ بِالظُّهُورِ أَلَّا يَبْقَى دِينٌ آخَرُ مِنَ الأَدْيَانِ، بَلِ المُرَادُ يُكُونُ أَهْلُ الإِسْلَامِ عَالِينَ غَالِينَ»^(١٤)، ثم يضيف ان الظهور إذا كان من الاظهار فهو يعني «أَلَّا يَبْقَى دِينٌ سِوَى الإِسْلَامِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ»^(١٥)، ومسألة ظهور الاسلام في اخر الزمان تحتاج الى تفصيل سيأتي لاحقاً، ولكن حتى لو كان المراد من قوله تعالى «ليظهره على الدين كله» الاظهار وليس الظهور، فهو ايضا لا يعني انعدام وجود الاديان الظاهر عليها؛ لأنه سيتضح من خلال التفصيل الآتي ان اهل الملل السماوية اما ان يسلموا واما ان يدفعوا الجزية، وفي حال دفعهم للجزية يعني بقاءهم على دينهم، مما يعني بقاء اديانهم .

ثالثاً: كيفية ظهور دين الحق على الدين كله

تعددت آراء المفسرين في كيفية غلبة دين الحق وظهوره على بقية الأديان ويمكن اجمالها فيما يأتي:

١. الظهور بالإخبار والإطلاع

يقول البغوي ان الضمير المتصل في (ليظهره) يرجع إلى الرسول الأعظم ﷺ، وعلى هذا الأساس تدل الآية على أن الله سبحانه أرسل النبي بالهداية ودين الحق؛ ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شيء، وهو رأي نسبة البغوي لابن عباس^(١٦)، مع ان العلامة الطباطبائي قد استبعد ان يكون الضمير راجع للرسول^(١٧)، إلا انه وجه لا يخلو من صحة؛ لأن الدين الحق - في ضوء ماتقدم - كي يظهر على الأديان كلها لا بد له من مُظهر، ولكي يتمكن المظهر من اظهار دين الحق لا بد ان يكون مطلعاً على الشرائع السماوية السابقة، كي تكون له الحجة في ذلك الاظهار من جهة، وله الاحقية في الاتباع من جهة اخرى.

٢. الظهور بالغلبة الفكرية والبهانية

يذكر ابو اسحاق الثعلبي ان ظهور الدين على الأديان كلها يكون بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة فتكون حجة هذا الدين أقوى^(١٨)، الا ان الفخر الرازي يرفض هذه الكيفية في الغلبة؛ لأن صياغة الآيات تدل على أنه سبحانه يعد ويبشر بأمر لم يتحقق ساعة نزولها، في حين أن غلبة الدين الإسلامي على سائر الأديان بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة شيء قد حصل في بداية الأمر، فكل من الوعد والبشارة يخص أمراً لم يتحقق؛ بل إن تحققه سيكون في المستقبل^(١٩).

اقول: ان الظهور امر تشكيكي^(٢٠) ذا مراتب، بمعنى انه درجات كما للايان درجات، فقد يكون الدين ظاهر على غيره من الأديان بالبراهين والحجج بدرجة ما في وقت نزول الآية او حتى بعد نزولها، ولكن بأعلى درجات الظهور لم يظهر بعد وهو ما سيكون في المستقبل، ولذلك لا يمنع تحققه فيما سبق البشارة به فيما هو آت مستقبلاً.

الغلبة بتسلط المسلمين على جميع اهل الاديان والملل

يبين الطبري في تفسيره ان ظهور الاسلام على بقية الاديان ان «يطل الله به الملل كلها حتى لا يكون دين سواه»^(٢١)، ويوافقه الألوسي بقوله: «ليعليه على جنس الدين بجميع أفراده أي ما يدان به من الشرائع والملل فيشمل الحق والباطل، وإظهاره على الحق بنسخ بعض أحكامه المتبدلة بتبدل الاعصار، وعلى الباطل ببيان بطلانه، وجوز غير واحد، ولعله الأظهر بحسب المقام، أن يكون إظهاره على الدين بتسليط المسلمين على جميع أهل الأديان»^(٢٢)، ثم يوضح الألوسي كيفية تسلط المسلمين على غيرهم من الاديان وذلك بقتالهم ووعد الله سبحانه بفتح البلدان لهم وذلك بخروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام^(٢٣). وفي نقد هذه الكيفية من ظهور دين الحق سواء كان دين التوحيد عموماً أم الاسلام خصوصاً عدة امور منها:

١. الاسلام نهى عن الاكراه في الدين، وتسلط المسلمين على غيرهم من اهل الملل بشكل لا يبقى معه وجود لاهل ملة اخرى يعني اكراههم على الاعتقاد به، وعندها لا تكون غلبة بالمعنى القرآني، وانما تسلط قهري وحاشا لله تعالى ان يظهر دينه بذلك، نعم يكون الدخول للاسلام من خلال الاقتناع بالحجج والبراهين بحيث لا يبقى دين الا هو، عن قناعة ورضا لا عن قهر وتسلط.

٢. القتال في الاسلام لا يكون الا على من اعتدى او بغى، (فلا تجوز مقاتلة العدو مالم يشهر سيفاً ولم يبدأ بقتال)^(٢٤)، وذلك ما صرح به النص القرآني في قوله

تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ نَقَضْتُمُ عَهْدَهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمُ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلَكُمُ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا

المُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿التوبة: ٦٣﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، والإطلاق في الآيات الكريمة يقتضي النهي عن كل اعتداء صغيرا كان أو كبيرا، «سواء كان في الابتداء بالقتال أم في التجاوز في القتل أم في المكان، وسواء كان في النفس أم في المال أم في العرض أم في الأدب في الكلام أم في الفعل وغير ذلك»^(٢٥)، وحتى المعتدي اذا جنح للسلم فلا قتال^(٢٦)، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الانفال: ١٦].

ومن ذلك يظهر ان قتال اهل الشرك والكفر ليس بعنوان شركهم او كفرهم ، بل بعنوان اعتدائهم وبغيهم - وهذه نقطة مهمة جدا لا بد من بحثها في بحث مستقل ليس هنا مقامه - فإذا كان الاسلام لا يرتضي ابتداء الاخر بقتال فكيف يفرض وجوده وسلطته بالقتال؟! ويخلص من ذلك ان القول بتسلط المسلمين على اهل الاديان الاخرى بالقتال لا صحة له لمخالفته النص القرآني. وبذلك يتضح ان لظهار دين الحق على كل دين بعدين: الاول: البعد المعرفي من خلال ظهوره بالحجج والبراهين وبالاطلاع على احكام الشرائع السماوية الاخرى وتفعيلها ورفع التعطيل عنها مالم تكن منسوخة في الاسلام. الثاني: البعد الدفاعي العسكري الذي يحصن دين الحق من الاعتداء عليه او على الانسانية عموما.

وهذا الجمع بين الامرين هو الاكثر مناسبة لكيفية اظهار الاسلام على بقية الاديان، لما فيها من هيمنة تتوافق مع معنى الهيمنة القرآنية على الكتب السماوية، والتي تظهر بمجموعة من المظاهر تلتخص في كون القرآن الكريم مرتبط بالكتب السماوية من جهة: التصديق، والتفصيل، والحفظ والمراقبة والشهادة^(٢٧)، وإقامة احكام الله سبحانه التي تضمنتها على اتباعها^(٢٨)، إضافة لتصحيح العقائد المحرفة التي اضيفت لتلك الكتب، فإن هذه المظاهر

تؤدي الى استيعاب الآخر بجميع حيثياته العقديّة والتشريعية وحتى الاخلاقية والثقافية،
فتتفق وتقر ما يتوافق معها، وتفصّل وتبيّن اجمالها وتصحح مسار مالا يتفق مع الحق،
وبالتالي يكون الاسلام مشروع احياء شريعة الله في كل كتاب سماوي؛ لكونه «مشمّل»
على جميع الأحكام الشرعية الباقية في الكتب الإلهية»^(٢٩)، التي اميتت بسبب التحريف
والتليس والاختفاء الذي شهدته تلك الكتب على يد بعض الرهبان والاحبار.
ولكن يبقى تساؤل: ان كانت هيمنة الاسلام امر ثابت وحاصل في عصر الرسالة فما
وجه البشارة بحصوله مستقبلا؟

رابعاً: اظهار الدين بتطبيق هيمنته

القرآن الكريم مهيمنا على ماسبقه من كتب سماوية ومن ثمّ الاسلام مهيمنا على غيره من الشرائع السماوية، هو امر نظري لم يطبق على ارض الواقع بصورته التامة الى يومنا هذا، وتام تطبيقها انما يكون بنفاذ قوانينه في الارض وحاكمتها على الجميع^(٣٠)، فلا معنى ولا أثر لسيادة الاسلام بالكثرة الظاهرية والغلبة العسكرية وفرض سلطته بقوة السيف واحكامه معطلة او محرفة، وإذا فرضت سيادة الاسلام وغلبته على اهل الملل بالقوة والتسلط عليهم، فهو دليل على افتقار الاسلام للحجة؛ لأن الفكر القائم على اساس القمع هو فكر سقيم يعاني من نقص معرفي وقيمي، وحاشا للاسلام ان يكون كذلك؛ لأنه الدين الكامل لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، زيادة على ذلك فعبارة «ليظهره على الدين كله» انما «تشير إلى ظهور الدين الحق على جميع الأديان من خلال معرفة الهدى، بمعنى أن الناس لهم دين لكنهم في ضلال وليس هو الدين الحق»^(٣١)، ومعرفة الدين عن هدى لا يكون بالاكراه او بالسيف والقتال وماشاكل، وانما بالحجج والبراهين والاستدلال العقلي واعمال الفكر، ومحاججة الاخر بها يؤمن ويعتقد به. ولكن لا بد لهذا الهدى من هادي ولتلك الهيمنة القرآنية من مطبق؛ ولذلك ذكر المفسرون ان آيات ظهور الدين انما يأتي تأويلها عند خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام^(٣٢).

وبذلك يتضح ان ظهور دين الحق لا يعني زوال بقية الاديان، ولكن يبقى السؤال عن مستقبل تلك الاديان في ظل ظهور الاسلام عليها، كيف سيكون وضع اتباعها وما هو مصيرهم؟ هذا ما سيأتي بحثه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني

مستقبل الاديان السماوية في عصر اظهار الدين

بما ان اظهار الدين على الدين كله وظهوره لا يكون الا في عصر خروج الامام المهدي ﷺ والنبي عيسى ﷺ بحسب ما ذكره جل المفسرين، فإن الاخبار والروايات الواردة في بيان ملامح واحداث ذلك العصر تشير الى وجود مستقبل للاديان السماوية فيه، فقد اتفق المسلمون عموماً على خروج المهدي في آخر الزمان وانه من عتره الرسول الاعظم، على الرغم من اختلافهم في كونه مولود ام سيولد فيها بعد، إلا ان هناك اتفاق مجمل على ما سيكون في عصر ظهوره من احداث^(٣٣)، ويهم البحث منها ما يتعلق بكيفية التعامل مع اتباع الشرائع السماوية، فيما اذا كان تعامل اقضاء والغاء، او اقرار وبقاء وكما يأتي:

أولاً: اظهار التوراة والانجيل كما انزلت

مشكلة تحريف الكتب السماوية السابقة تشكل عائقاً امام قبول ان اتباعها على حق او لهم نصيب من النجاة في الآخرة، لما يبتني عليها من اعتقادات محرفة فيها من الغلو والفساد مالا يقبله عاقل، ولكن بمجرد ارتفاعها ستحل اشكالية قبول الآخر؛ لأنه عندها سيدين الجميع بالدين الحق الذي اراده الله سبحانه ان يدينوا به، ولذلك فإن الخطوة الاولى في اظهار دين التوحيد هو المجيء بالانجيل والتوراة كما انزلت لتكون الى جنب القرآن الكريم في حكومة الانسانية. فقد نقلت كتب العامة والامامية «عدة اخبار ان الكتب السماوية الأصلية في غار في انطاكية وأنه -المهدي ﷺ- سوف يخرجها من هناك»^(٣٤)، منها: ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي ﷺ أنه قال: ((إذا قام القائم من اسار إلى أنطاكية^(٣٥)، فيستخرج منها التوراة))^(٣٦)، وجاء في حديث آخر قوله ﷺ: ((إذا قام قائم آل محمد أو تي عصى موسى، وأخرج التوراة من أنطاكية))^(٣٧)، وايضا قوله ﷺ: ((ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية))^(٣٨)، وهناك اخبار مماثلة عن استخراج التوراة والانجيل^(٣٩).

وذكرت مصادر عدة ان العلة من استخراجها هي للاحتجاج بها^(٤٠)، في حين ان مجرد الاحتجاج ليس داع لاستخراجها؛ لأن كل من اليهود والنصارى لا يعرفون تلك الكتب الاصلية بل يعرفون ما بقي منها في كتبهم التي بين ايديهم، مما يعني ان الاحتجاج بها قد لا يكون مجديا مع اهل الكتاب، ولذلك لا بد من وجود اسباب اخرى لاستخراجها كي تكون حجة على اتباعها كي يصح الاحتجاج بها منها «هداية الناس بهذه الكتب بعد الظهور»^(٤١)، ولهذا الهداية كيفية تثبت ما مرّ سابقا حول المراد من الهيمنة القرآنية على بقية الكتب السماوية.

ثانيا: الحكم بالتوراة والانجيل

بعد اظهار الكتب السماوية الاصيلة كما انزلت، ولتحقيق هداية اهل الكتاب الى الدين الحق كي يظهر على كل دين وملة، لابد من تفعيل الاحكام التي جاءت بها تلك الكتب وهي التوراة والانجيل لما فيها من هدى ونور بصريح النص القرآني، وهذا ماسيكون في زمن ظهور الدين وعلى يد المهدي المنتظر ﷺ وهذا ما جاء في حديث الامام الباقر ﷺ بقوله: ((اذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية، وعدل في الرعية...ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن))..(٤٢)، والرواية اذا ضمت الى الايات القرآنية التي نصت على ضرورة الحكم بما انزل الله في كتبه منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَلِيُحْكَمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرَعَةً وَمِنْهَا جَاوِلُونَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٧-٤٨]، تعطي دليلا قاطعا مفاده: لإقامة الحكم العادل ينبغي أن تنزل كل الكتب السماوية إلى حيز التطبيق من قبل من يؤمن بها، فقد وصف من يعصي حكم التوراة بالكافرين تارة وبالظالمين أخرى، ومن يعصي حكم الإنجيل بالفاسقين، إلا ان الامر الأعلى في الحكم بتلك الكتب هو للحكم الإسلامي الذي أنزله الله تعالى في القرآن، إذ ان ما يقوم به المهدي المنتظر ﷺ انها هو تطبيقاً لذلك التأكيد القرآني(٤٣)، وقد جاءت رواية مقارنة للرواية التي هي مدار البحث عن الامام امير المؤمنين ﷺ في حال لو ثبتت له وسادة الحكم(٤٤)، مما يدل

على عدة امور منها:

الاول: ان الاسلام وان كان دينا جاء به الرسول الأعظم ﷺ إلا انه دين لاهل الكتاب ايضا؛ لأنه يطبق احكامهم عليهم من غير ظلم او جور، وهذا مايميزه عن بقية الاديان ولذلك فهو غالب لها ظاهر عليها .

الثاني: ان دين التوحيد عموما والاسلام على وجه الخصوص لا بد له من مظهر -وان كان ذلك لا يتحقق الا في آخر الزمان- بحيث يكون عالما ومطلعا اطلاعا دقيقا على كل ما انزله سبحانه في شرائعه السابقة، كي يتمكن من الحكم بما جاء فيها .

الثالث: ان الهداية لا تتحقق ودين الله لا يظهر على كل دين، إلا بتطبيق احكامه النازلة في كل كتاب انزله سبحانه وبيان ما هو ثابت منه او منسوخ وتفعيل تلك الاحكام واخراجها من حيز النظرية الى التطبيق، وهذه هي الهيمنة بعينها .

وإذا تحقق ذلك سيتحقق العدل والقسط على يد الاسلام، فلا ظلم ولا عدوان ولا جور على احد لا من المسلمين ولا من اهل الكتاب، وفي حال رؤية الاخر للعدل الالهي المقام في الارض من قبل حاكم الاسلام عندها سيدخل الاسلام طوعا من غير قتال ولا اكراه .

ثالثاً: اقرار اهل الكتاب على دينهم

عند قراءة الاخبار فيما يخص معاملة الامام المهدي المنتظر (عليه السلام) لاهل الكتاب، يتضح ان سيرته فيهم سيرة جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) ففي حال عدم دخولهم الاسلام يبقون على دينهم وتؤخذ منهم الجزية وهذا ما ذكرته جملة من التفاسير منها: ما نسب لابن عباس قوله: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ أَدَّى إِلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ»^(٤٥)، ومثله نقله الفراء في معاني القرآن^(٤٦). ونقل القرطبي في تفسيره لآية اظهار الدين قول السدي وهو: «ذَلِكَ عِنْدَ خُرُوجِ الْمُهَدِيِّ ﷺ، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ أَدَّى الْجِزْيَةَ»^(٤٧).

أما الاخبار التي نقلت ان الامام المهدي لا يقبل الجزية وانه يحمل اهل الكتاب على الاسلام^(٤٨)، وبعيدا عن مدى سلامة سندها، فهي لا يمكن قبولها من جهتين: الاولى: انها مخالفة لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وحمل اهل الكتاب على الاسلام يعني ارغامهم على ذلك وهو الاكراه بعينه.

الثاني: إذا كان اخذ الجزية من اهل الكتاب وقبولهم في ذمة الاسلام حكم شرعي ثابت، فتغييره اما نسخ له ومعلوم ان لا نسخ بعد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله)^(٤٩)، واما تعطيل له وهو مما لا يتوافق مع مهام الامام المهدي (عليه السلام) في احياء معالم الدين والشريعة، واخذ الجزية واحدة من تلك الاحكام المعطلة في زمن الغيبة ولذلك ورد في الاخبار انه (عليه السلام) يضع الجزية، ومعنى وضع الجزية ليس رفعها بل تشريعها وتفعيل العمل بها^(٥٠).

وهذا ما التفت اليه الطبرسي في إعلام الوري بقوله: «انا لم نعرف ما تضمنه السؤال من انه لا يقبل الجزية من أهل الكتاب، فإن كان ورد بذلك خبر فهو غير مقطوع به»^(٥١)، وهذه الضريبة المالية التي يدفعها اهل الكتاب بحسب الشروط المثبتة في المباحث الفقهية واهمها التراضي^(٥٢)، تدل على امرين:

الاول: ان امتثال اتباع الاديان الاخرى لدفع الجزية من غير اكراه هو بحد ذاته غلبة وسيادة للاسلام على غيره من الاديان؛ لأنه امتثال لتشريع اسلامي.

الثاني: ان اهل الكتاب لهم دور في البنية الاقتصادية للاسلام كما للمسلمين من دور في دفع الزكاة والخمس، وبذلك ليس هناك الغاء لدور اتباع الاديان الاخرى في حال ظهور الاسلام على الدين كله.

الخاتمة

من خلال ما تقدم يظهر ان:

١. سيادة الاسلام وغلبته لا تعني انهاء وجود الاديان السماوية الاخرى، هذا ان حمل الاسلام على معناه الخاص، اما في حال حمله على المعنى العام وهو التوحيد والتسليم لله سبحانه فهذا يعني ان الاديان التوحيدية ستظهر على غيرها من الاديان الوضعية او السماوية التي فيها شائبة الشرك بفعل التحريف، وبذلك لا يتعارض مفهوم وكيفية اظهار الدين الحق على الدين كله مع موضوع التعدد الديني في عصر ظهور المهدي المنتظر ﷺ.
 ٢. هيمنة الاسلام تتجلى من خلال بسط حكم الله في الارض والذي جاء في الشرائع السماوية مما يتفق مع حكم الاسلام من جهة، ويتمظهر فيه معنى الرقابة والشهادة والحفظ.
 ٣. بما ان ظهور الدين الحق على كل دين وعد الهدي، إذن لا بد له من مُظهر وهو جزء من ذلك الوعد الالهي، فبدونه لا يمكن للدين ان يظهر بمعناه التام.
 ٤. استخراج المهدي المنتظر - بحسب ما تنقله الاحاديث - كتب الانبياء السماوية وميراثهم فيه دلالة على احياء ذلك الميراث وارجاعه لدائرة العمل والا مجرد الاحتجاج لا ينسجم مع عظم واهمية ذلك الميراث من جهة، ومعرفة الناس به عندئذ من جهة اخرى.
- هذا ما استطاعت الباحثة ان تصل له بما يتعلق بمستقبل الاديان في عصر الظهور، ولعلها اصاب في او اخطأت، ومن الله التوفيق.

الهوامش

١. صدام الحضارات، هانتنغتون: ١١٤.
٢. ظ/ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٠٠.
٣. القرآن والتعددية، محمد قراملكي: ٦٠.
٤. ظ/ تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان الازدي (ت ١٥٠هـ): ٢ / ١٦٧؛ جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: ١٤ / ١٩٨؛ الكشاف جار الله الزمخشري: ١ / ٥٩١.
٥. ظ/ انوار التنزيل، البضاوي: / ٧٧٣.
٦. ظ/ تفسير المراغي، احمد بن مصطفى المراغي. ٩١: ١٠:
٧. ظ/ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: / ١٤٢٩.
٨. ظ/ من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي: / ٥٥١٤.
٩. مدارك التنزيل، حافظ الدين النسفي: / ٣٣١١.
١٠. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي: / ٧٣٤.
١١. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: / ١٧٤٣.
١٢. ظ/ القاموس المحيط، الفيروز ابادي: / ٤٣٤١.
١٣. ظ/ جامع البيان، الطبري: ٣ / ٤٥٣؛ التبيان، الطوسي: ٥ / ٢٠٩؛ مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٦١ / ٤٠؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٨ / ٨؛ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ٢٤٧ / ٩؛ وغيرها.
١٤. الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي: / ١٨ ٦٨.
١٥. م.
١٦. ظ/ معالم التنزيل في تفسير القرآن، حسين بن مسعود البغوي (ت. ٣٤٠ / ٢): ٥١٠هـ.
١٧. ظ/ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: / ٧٤٢٩.
١٨. ظ/ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ابو اسحاق الثعلبي ٥: (٧٢٤هـ) / ٣٦.
١٩. ظ/ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: / ٣٣١٦.
٢٠. الأمر التشكيكي هو الكلي المتفاوتة أفراده في صدق مفهومه عليها كالبياض مثلاً فإنه مفهوم كلي ينطبق على بياض الثلج وبياض القرطاس، ولكن بياض الثلج أشد من بياض القرطاس مع أن كليهما بياض، ويقابله الكلي المتواطئ فإنه المتوافقة أفراده فيه كالإنسان بالنسبة إلى أفرادهم متساوون في الإنسانية. (ظ/ المنطق، محمد رضا المظفر): ٧١
٢١. جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري: ١٢ / ٣٢٠.

٢٢. روح المعاني، الالوسي: / ١٣ ٥٧٢.
٢٣. م. ن.
٢٤. الامثل، مكارم الشيرازي: / ٩١ ٢.
٢٥. ظ/ مواهب الرحمن، عبد الاعلى السيزواري: ٣/ ١٣٠.
٢٦. ظ/ الاء الرحمن، محمد جواد البلاغي: / ١ ١٦٦.
٢٧. ظ/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ابو زيد الثعالبي: ٢/ ٠٩٣.
٢٨. ظ/ الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي: / ٦ ٩٧١.
٢٩. ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ابو السعود العمادي: ٣/ ٥٤.
٣٠. ظ/ من سيظهر دين الله، مرتضى اليرازي: ١١.
٣١. طور الاستخلاف، عالم سبيط. ١٠٦:
٣٢. ظ/ جامع البيان، الطبري: ٣/ ٤٥٣؛ التبيان، الطوسي: ٥/ ٢٠٩؛ مفاتيح الغيب، الفخر الرازي:
- ٦١/ ٤٠؛ الجامع لاحكام القرآن، القرطبي: ٨/ ٨؛ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ٩/ ٢٤٧؛ وغيرها.
٣٣. ظ / المهدي في الفكر الاسلامي، ثامر العميدي: ٣٨-٢٥
٣٤. النجم الثاقب، ميرزا حسين النوري الطبرسي: ١/ ٢٥٩.
٣٥. انطاكية: من الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة (معجم البلدان، ياقوت الحموي: ١/ ٣٨٢)
٣٦. شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي (ت. ٣٨٧/ ٣) (٣٦٣هـ)
٣٧. م-ن: / ٢٠٨٣.
٣٨. الغيبة، ابن ابي زينب النعماني (ت ٣٨٠هـ. ٢٤٣):
٣٩. ظ/ الفتن، نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٨٨هـ. ٢٢٠):
٤٠. ظ/ معجم احاديث الامام المهدي، علي الكوراني: / ٢ ٥٢٥.
٤١. تاريخ مابعد الظهور، نحمد صادق الصدر. ٦٠٦:
٤٢. الغيبة، ابن ابي زينب النعماني. ٢٤٣:
٤٣. ظ/ تاريخ مابعد الظهور، محمد صادق الصدر. ٦٠٧:
٤٤. تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى ١٩٤؛ الأمالي، الطوسي ٥٢٣/ ٢؛ شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد. ١٩٧/ ١٢:
٤٥. تنوير المقباس، ينسب لابن عباس، جمعه مجد الدين الفيروزابادي (ت. ٤٧٠هـ): ٨١٧هـ
٤٦. ظ/ معاني القرآن، ابو زكريا يحيى الفراء (ت. ٦٨. ٣/ ٢٠٧هـ)
٤٧. جامع الاحكام، القرطبي: / ١٢١٨.

٤٨. ظ/ بحار الانوار، المجلسي: / ٣٨٣ ٥٢.
٤٩. ظ/ إعلام الوری بأعلام الهدی، الطبرسي: ٣١٠ / ٢.
٥٠. ظ/ تاریخ مابعد الظهور، محمد صادق الصدر: ٨٧٦.
٥١. إعلام الوری بأعلام الهدی، الطبرسي: ٣١٠ / ٢.
٥٢. ظ/ الجزية واحكامها، علي اكبر الكلانتری: ٢٤.

المصادر والمراجع

- الاولى. ١٤١٧هـ ،
٩. حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل، تحقيق يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٠. حسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) ، معالم التنزيل في تفسير القرآن ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى. ١٤١٦هـ ،
١١. حمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٢. شهاب الدين محمود الألبوسي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبدالباري عطية، دارالكتب العلمية ،بيروت، الطبعة الأولى. ١٤١٥هـ ،
١٣. شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
١٤. عالم سببط، طور الاستخلاف، مركز النبلي للدراسات، ط١. ١٤٢٤هـ ،
١٥. عبد الاعلى الموسوي السب زواري، مواهب الرحمن، الناشر: مؤسسة أهل البيت، بيروت، ط٢. ١٤٠٩هـ ،
١٦. عبد الرحمن بن محمد ابو زيد الثعالبي (ت ٥٧٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة:
- القرآن الكريم
١. ابن ابي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٩.
٢. ابن فارس (ت ٥٩٣هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٤٠٤هـ، مكتبة الإعلام الإسلامي.
٣. ابو اسحاق الثعلبي (٧٢٤هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء ال تراث العربي، ب بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٤. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٢٨٩هـ)، ارش اد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٥. ابو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٨٣٥هـ)، الكشاف، دار دجلة، الاردن، الطبعة الاولى. ٢٠٠٧
٦. احمد بن خليل الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، الطبعة الاولى ١٩٨٨ م.
٧. احمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الاولى. ١٩٤٦
٨. ثامر العميدي، المهدي في الفكر الاسلامي، مؤسسة الرسالة، قم المقدسة، الطبعة

- الأولى، ١٤١٨هـ، م.
١٧. عبد الله بن عباس (ت ٨٦هـ) تنوير المقباس، جمعه مجد الدين الفيروز ابادي (ت ٧١٨هـ) دار الكتب العلمية، لبنان.
١٨. علي اكبر الكلانترى، الجزية واحكامها، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٢٦هـ.
١٩. علي الكوراني، معجم احاديث الامام المهدي، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم، الطبعة الاولى، ١٤١١هـ.
٢٠. علي بن الحسين الشريف المرتضى (ت ٦٣٤هـ) تنزيه الأنبياء، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، ط ١.
٢١. فخر الدين الرازي ٦٠٦هـ، مفاتيح الغيب دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥م.
٢٢. الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق ونشر مؤسسة ال البيت لتحقيق التراث، قم.
٢٣. محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، بحار الانوار، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني ال ش يرازي، ط ٢، ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت .
٢٤. محمد بن ابن ابراهيم المعروف بـ (ابن أبي زينب النعماني) (ت ٣٨٠هـ)، الغيبة، منشورات أنوار الهدى، قم المقدسة، الطبعة الاولى، ١٤٢٢هـ.
٢٥. محمد بن احم د شمس الدين القرطبي (ت ١٧٦هـ)، الجامع لاحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية
٢٦. محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الناشر دار الثقافة، قم المقدسة، الطبعة الاولى.
٢٧. محمد بن الحسن الطوسي (ت ٥٦٤هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحم دقصور العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الاولى.
٢٨. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: ٧١٨هـ) القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيقا ل تراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٩. محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار محبي الحسين، طهران، ط ١، ١٤١٩هـ،
٣٠. محمد ج واد البلاغي، الاء الرحمن في تفسير ال ق رآن، مؤسسة البعثة، ط ١، ١٤٢٠هـ، قم، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة.
٣١. محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، دارالكتب الاسلامية، طهران ١٣٦١هـ.
٣٢. محمد حسين قراملكي، القرآن والتعددية، دار الولااء، بيروت، ط ١، ٢٠١٤.
٣٣. محمد رضا المظفر، المنطق، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة.
٣٤. محمد صادق الصدر، تاريخ ما بعد الظهور،

- دار التعارف للمطبوعات ،بيروت، الطبعة الاولى، ١٩٩٢.
٣٥. مقاتل بن سليمان الازدي (ت ١٥٠هـ) تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء ال تراث، بيروت.
٣٦. مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم، ط ١. ١٤٢١هـ،
٣٧. ميرزا حسين السنوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ) النجم الثاقب، تحقيق وتعليق السيد ياسين الموسوي، انوار الهدى، قم المقدسة، ط ١. ١٤١٥هـ،
٣٨. ناصر الدين البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) انوار التنزيل واسرار التأويل: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الاولى.
٣٩. نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٨٨هـ)، الفتن، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٣.
٤٠. هانتنغتون، صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، ترجمة مالك عبيد ومحمود محمد، الدار الجماهيرية للنشر، ط ١، ١٩٩٩
٤١. يحيى بن زياد ابو زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.